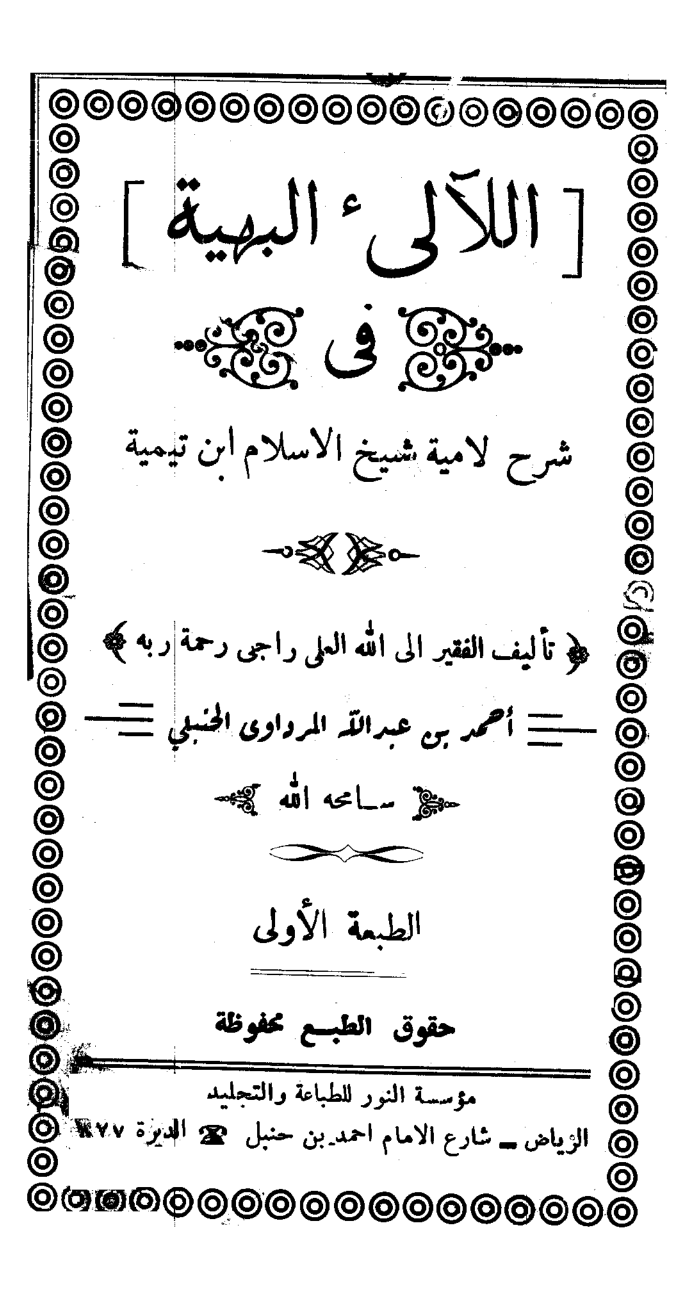


# [ اللآلىء البهية ]

## فى

## شرح لامية شيخ الاسلام ابن تيمية


تأليف الفقير الى الله العلى راجى رحمة ربه

أحمد بن عبدالله المرداوى الحنبلي

سامحه الله



الطبعة الأولى





مؤسسة النور للطباعة والتجليد

الرياض ـ شارع الامام احمد بن حنبل ☎ الديرة ٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة الطبع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين .

وبعد : فقد يسر الله لى العثور على نسخة خطية شرحا للامية « شيخ الاسلام بن تيمية » وحيث لم أعرف أنها قد نشرت من قبل رأيت أن أقوم بنشرها حيث أنها فى صميم العقيدة : وسأحاول ما استطعت التنبيه على ما رأيته لازما من عبارات الشارح فى الهوامش .

وألفت نظر القارىء الى أن النسخة المخطوطة الموجودة فى المكتبة السعودية فى الرياض كثيرة الأخطاء .

ولما لم أجد غير هذه النسخة للمقابلة اضطررت الى ما يعيننى فى تصحيح هذا الكتاب ، فوجدت الشارح ينقل من عبارات شرح السفارينية معزوا وغير معزو فى الغالب بصورة اختصار وتلخيص . فأحضرته عند التصحيح فوجدته نعم العون لى فى كثير من الأخطاء وخاصة فيما ظهر لى خطؤه ، أما ما كان وجه الصواب فيه واضحا فأتركه .

إذ يظهر ان الشارح قصد هذا من باب الاختصار والتلخيص .

وأرجوا أن يبرز هذا الشرح حائزا رضاء القراء فى تنسيقه وتصحيحه ، ومن الله نستمد العون والهداية . وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وصلى الله على نبينا محمد وصحبه وسلم

١٣٨٥/١١/١٢

الناشر

( على الحمد الصالحى )

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه نتوكل

الحمد لله العلي الكبير السميع العليم الخبير، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له المريد القدير . وأشهد ان سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله البشير النذير السراج المنير ﷺ وعلى آله وأصحابه ما افل باطل واتضح الحق المنير .

أما : بعد لما وقفت على أبيات عديدة، جامعة للمسائل المتفق عليها عند السلف مفيدة حاوية لأمهات مسائل الاعتقاد . تنسبب لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله . وكنت منذ زمن أتطلب لها شرحا جامعا ، لأكون خلفه تابعا فلم أجد شيئا من ذلك .

فاستخرت الله تعالى وطلبت منه المعونة والسداد. ان اضع عليها شرحاً مفيداً يذكر الطالب ويفيد الراغب جانبت فيه الاطناب الممل والاختصار المخل ، ورتبته على عدة فصول ، ومقدمة ، وخاتمة ، وضعته لنفسي ولمن شاء الله من بعدي، لضرورة كونها لم تشرح . والا فلست من أهل ذلك الشأن ولا من خيل ذلك الميدان .

وسميته اللآليء البهية في شرح لامية شيخ الاسلام بن تيمية . وأسأل الله ان ينفع به من اشتغل به وان يتغمده برحمته . انه أرحم الراحمين ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

## مقدمة تشتمل على عدة تعريفات

الأول منها : اعلم وفقك الله تعـالى ان الملة المحمدية تنقسم الى نوعين (١). اعتقاديات وعمليات .

فالاولى هي التي لم تتعلق بكيفية عمل ، مثل اعتقاد وجوب وجود الباري القادر المختار ، ووحدانيته ، وتسمي أصلية .

والعمليات : هي ما يتعلق بكيفية العمل ؛ وتسمى فرعية . فالمتعلق بالعملية هي علم الشرائع والاحكام لانها لا تستفاد الا من جهة الشرع .

والمتعلق بالاعتقاديات : هو علم التوحيد والصفات وعلم أصول الدين .

ولما كان هـذا العلم أهم لابتناء العمليات عليـه ، أوردوا البراهين والحجج عليه ، واكتفوا بالعمليات بالظن المستفاد من الأدلة السمعية (٢) .

وأيضاً : فانه لما كان عصر الصحابة خاليا من البدع الكلامية والشبه الخيالية ، والخصوم المعتزلية لم يكن عـلم اصول الدين

---

(١) لا يعترض على هذا بما في الكتاب والسنة من القصص ، فان مـا تضمنته لا يخرج عن القسمين ، فما فيها من الاعتقادات هو من علم الأصول، وما فيها من الاحكام العملية فهو من الفروع . ا هـ

(٢) انظر تفصيل البحث في مجموعة الفتاوى ج١٩ ص٢٠٣ تحت عنوان قاعدة جامعة

مدونا هذا التدوين . فلما كثرت البدع والشبه ، وانتشر الخلاف دون علماء الاصول قواعده المعلومة لدفع شبههم وبدعهم وردهم الى الصواب المعلوم عن النبي ﷺ.

والمراد بعلم أصول الدين العلم بالعقائد الدينية عن الادلة اليقينية اي العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من أدلتها اليقينية، سواء توقفت على الشرع كالسمعيات أم لا ؟ وسواء توقفت على الدين الواقع ككلام أهل الحق أو لا ؟ ككلام المخالف واعتبر في أدلتها اليقين لانه لا عبرة في الظن في الاعتقـاديات ، بـل في العمليات كما تقدم(١) .

الثانى : اعلم أنا لا نأخذ الأعتقادات الاسلامية من القواعد الكلامية . بل انما نأخذها من النصوص القرآنية والاخبار النبوية.

واستمـداد هـذا الفن من الكتاب المنزل على النبي المرسـل والتفسير والحديث الثابت والفقه والاجماع والفطرة(٢) .

وغاية هذاالعلم ان يصير الايمان والتصديق بالاحكام الشرعية متقنا محكما لا تزلزله شبهة من شبه المبطلين .

وموضوعه هو المعلوم(٣) من حيث انه يتعلق به اثبات العقائد الدينية . ولا شك انه يبحث به عن احوال الصانع من القـدم والوحدة والقدرة والارادة وغيرها . ليعتقد ثبوتها مما هو عقيدة اسلامية ، او وسيلة اليها .

---

(١) ارجع الى رقم ١ ص ٥

(٢) القول باستمداد أصول الدين من التفسير والفقه غير صحيح

(٣) الصواب ان موضوعه ذات الله من حيث ما يجب وما يجوز وما يستحيل ،وكذا الرسل من حيث ما يجب لهم وما يجوز وما يستحيل الخ

الثالث : من التعريفات : اعلم ان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، قد تنازعوا في كثير من الاحكام وهم سادات المؤمنين ، وأكمل الامة ايمانا بلا نزاع ، ولكن بحمد الله تعالى لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الاسماءوالصفاتوالافعال بل كلهم على إثبات ما نطق بة الكتاب والسنة على كل حـال فكلمتهم واحدة لم يسوموها تأويلا . ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا . ولم يقل واحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحمله على مجازها ، بل تلقوها بالقبول والتسليم . وقابلوها بالايمـان والتعظيم ، فأهل الايمان اذا تنازعوا في شيء من ذلك ردوه الى الله والى رسـوله كما رتب عليـه الايمـان ، كما في قـوله تعـالى ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ) الآية .

فكل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دقه وجله جليه وخفيه ردوه اليهما ، اذ من الممتنع ان يأمر الله بالرد عند التنازع الى من لا يوجد عنده فصل النزاع .

وقد أجمع الناس ان الرد الى الله هو الرد الى كتابه ، والرد الى الرسول هو الرد اليه نفسه في حياته ، والى سنته بعد وفاته ﷺ وقد جعل الله هذا الرد من موجبات الايمان ولوازمه فاذا انتفى انتفى الايمان .

الرابع : اعلم ان المراد بمذهب السلف ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، وأعيان التابعين لهم باحسان واتباعهم أئمة

لدين ممن شهد له بالايمان وعرف عظم شأنه في الدين . وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف دون من رمي ببدعة . او شهر بلقب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والقدرية والجهمية والمعتزلة ونحو هؤلاء . لكن لما كان ظهور البدع ونشوها بعد المأتين . وأظهر المأمون القول بخلق القرآن . وظهر مذهب الاعتزال . وكان الذي قام في نحورهم ورد مقالتهم وأبطل مذهبهم وزيفه وذم من ذهب اليه أو عول عليه أومال اليه . . سيدنا وقدوتنا الامام المبجل والحبر البحر المفضل الامام ابو عبدالله (احمد بن محمد بن حنبل) رضي الله عنه. نسب مذهب السلف اليه . وعول أهل عصره من أهل الحق فمن بعدهم عليه ألا فهو المذهب المأثور والحق الثابت المشهور .

لعله ونشروها

قال الامام أبو الحسن الاشعري رحمه الله في كتابه (الأبانة في أصول الديانة ) وهو آخر مصنفاته ما نصه :

فان قال قائل : قد انكرتم قول المعتزلة والقدرية والحرورية وغيرهم، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، ودياناتكم التي بها تدينون.

قيل له قولنا الذي به نقول ، وديانتنا التي بها ندين التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ورسوله محمد ﷺ . وما روي عن الصحابة والتابعين وائمة الحديث ، فنحن بذلك معتصمون . ولما كان عليه الأمام احمد بن حنبل نضر الله وجهه قائلون . ولمن خالف قوله مجانبون ، لأنه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به المبتدعين. فرحمة الله عليه من امام مقدم. وكبير مفخم انتهى كلامه .

الخامس: مذهب السلف هو المذهب المنصور والحق الثابت المأثور. وأهله هم الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة التي بكل خير فائزة. من الشفاعة، والورود على الحوض، ورؤية الحق، وغير ذلك من سلامة الصدور. والايمان بالمقدور. والتسليم لما جاءت به النصوص، فمن المحال أن يكون المخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض من لا تحقيق لديه - ممن لا يقدر قدر السلف. ولا عرف الحق حق المعرفه - أن طريق السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، وهؤلاء انما أتو من حيث ظنوا ان طريقة السلف هي مجرد الايمان بالفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك بمنزلة الأميين، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات.

فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة.

قال الامام المحقق محمد بن احمد السفاريني الحنبلي في شرح عقيدته المشهورة المسماة (بالدرة المضية) التي لم يؤلف مثلها في فنها. وهي من أجل كتب الاصول بل هي أحسن من جمع مقالات السلف بعبارات قريبة ما [illegible]:

اعلم رحمك الله تعالى أن اصطلاحي في هذا الكتاب. يعني شرحه المسمى (بلوامع الانوار البهية).
هو الاستدلال بالكتاب القديم (١) ويقول النبي الكريم عليه

---

(١) الذي عليه اهل السنة والجماعة ان كلام الله سبحانه وتعالى قديم النوع حادث الآحاد.

أفضل الصلاة، وأتم التسليم واقتفاء الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين . ومادرج عليه الرعيل الاول من القرون المفضلة مما تلقاه أئمة الدين بالقبول. واثبتوه بالمنقول. وأصلوه في الاصول. وإن زعم متخذلق انه يباين العقول . فانه كلام باطل ومذهب معلول . فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام تأتي بمحارات العقول لا بمحالاتها فمن زعم أن العقل يحيل شيئا مما جاءت به الانبياء فلا يخلوا من أحد أمرين .

إما عدم ثبوته عنهم ، واما عجز العقل عن ادراكه . ولا يلزم من عجز العقول عن ادراك شيء من الاصول أو غيرها أن يكون مستحيلا ، كحديث النزول مع عدم الانتقال(١) . وكون القرآن كلام الله وصفته مع عدم الانفصال(١) ونظائر ذلك كثيرة جدا

فمن لم يسلم للمنقول وقابله بالرد بالمعقول فهو ضال مخبول، فمذهبنا هو ما وافق صحيح المنقول، وصريح المعقول، الذي يجمع مافي الاقوال المختلفة من الصواب، ويجتنب مافيهما من الخطأ والارتياب ، وهذا هو مذهب سلف الامة وسائر الائمة . وهو الذي يدل عليه الكتاب والسنة واجماع السلف، فان الله تعالى بين في كتابه الحق بما ضربه فيه من الأمثال ، فمن لم يكن علمه متلقى من الكتاب والسنة فهو غير نافع ولا منتفعا به بل ضره اكثر من نفعه.

وعلامة هذا العلم كما قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: أن يكسب صاحبه الزهو والفخر والعجب والخيلاء ،وطلبت مباهاة العلماء. وممارات السفهاء . وصرف وجوه الناس اليه، انتهى كلامه رحمه الله.

---

«١» التعبير بالانتقال وعدمه . والانفصال وعدمه في مثل هذا المقام مما لم يعرف عن السلف الخوض فيه

فهذا أوان الشروع في المقصود . فنقول وبالله التوفيق .

قال الناظم رحمه الله مجيبا : لمن سأله عن مذهبه واعتقاده بقوله :

---

ياسائلي عن مذهبي وعقيدتي * رزق الهدى من للهداية يسأل

---

( ياسائلي ) سؤال هداية واسترشاد . لا سؤال تعنت وعناد ( عن مذهبي ) الذي اذهب اليه في الفروع ( و ) عن ( عقيدتي ) التي اعتقدها في الاصول، هو مذهب السلف المأخوذ من الكتاب والسنة . وما ذهب اليه الاعلام الائمة وغيرهم من أئمة الحديث.

ثم إن الناظم رحمه الله، سأل الهداية لمن سأله بقوله ( رزق ) بالبناء للمفعول ( الهدى من ) اسم موصول ( للهداية يسأل )
ثم قال مؤكدا للجواب بقوله :

---

اسمع كلام محقق في قوله * لا ينثني عنه ولا يتبدل

---

( اسمع ) فعل أمر مبني على السكون ( كلام ) عبد مقر بلسانه معتقد بجنانه ( محقق ) في دينه لا يعتريه شك ولا رجوع عما اعتقده ( في قوله ) متعلق بمحقق . والقول له اطلاقات والمراد به هنا بمعنى الاعتقاد، ويراد به الرأي: كقول أبي حنيفة رحمه الله . وقول الناظم (لا ينثني ) أى لا يرجع (عنه) أي عن ذلك الاعتقاد ( ولا يتبدل ) مذهب السلف بغيره .

# فصل

ولما كانت مسألة حب الصحابة أهم مسائل الأعتقاد لأنها اجماعية (أي مجمع عليها عند أهل السنة والجماعة لسابقتهم في الاسلام ، والكتاب والسنه مملوءان من الثناء عليهم لماذكرناه .

فلذلك قال مبتدئاً مصرحا بقوله :

---

حب الصحابة كلهم لي مذهب * ومودة القربى بها أتوسل

---

حب الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين (كلهم) ، فلا نفرق بين علي ومعاوية وعائشة وفاطمة ، بل كلهم في المحبة سواء . كما هو مذهب الفرقة الناجية من اهل السنة ، قال المصنف (لي مذهب) أذهب اليه وأعول في الاعتقاد عليه . (و) كذا (مودة) أي محبة (القربى) أي قرابته ﷺ وهم اهل بيته المأمور بها بقوله (قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى) (بها) أي بمحبة أهل البيت كلهم (أتوسل) اي أتقرب الى الله تعالى بحبهم . وقيل : أتوسل أي اتشفع .

ولشيخ الاسلام تقي الدين: في ذلك قاعدة تتضمن فصل الخطاب في هذه المسألة، وكيف لا تكون مودتهم وسيلة بل هي أعظم الوسائل لانهم أهل بيت حبهم ايمان وبغضهم نفاق .

ولما كانت فضائل الصحابة رضي الله عنهم مراتب ، وهم متفاوتون فيها أكد ذلك بقوله :

---

ولكلهم قدر علا وفضائـــل * لكنما الصديق منهم أفضـــل

---

(ولكلهم) أي الصحابة ( قدر ) عظيم وثواب جسيم لدلائل الكتاب والسنة ( علا ) أي سما على غيره لسابقتـــه وهجرته ( وفضائل ) . ولما كانت أفضلية أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثابتة بالكتاب والسنة ومتفق عليها عند الامة ومجمع عليها عنـــد الائمة، لانه أفضل خلق الله بعد النبيين والمرسلين فلذا استدركه بقوله . ( لكنما الصديق ) يعنى أبا بكر رضي الله عنه ، واسمه عبدالله بن عثمان ابن ابي قحافة ( منهم ) أي من جملة الصحـــابة ( أفضـــل ) من غيره بالاجماع . لقب بأبي بكر الصـــديق

وكان علي بن أبي طالب يحلف بالله ان الله أنزل اسم أبي بكر الصديق من السماء ، وهو أول الناس اسلاما بالنبي ﷺ . وقيل علي .

وقال ابو حنيفة : الورع ان يقال اول من اسلم من الرجال الاحرار ابو بكـــر الصديق ، ومن الصبيان عـلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومن النساء خديجة :

وفضائل الصديق كثيرة شهيرة جدا، وقد دونت في سجلات .

ويكفي في فضله ما ورد في الكتاب والسنة . كقوله تعـــالى ( وسيجنبها الأتقى ) الى آخر السورة . وقال تعالى ( والذي جاء بالصدق وصدق به ) الآية . وقوله تعالى ( اذ هما في الغـــار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ) الآية . الى غير ذلك من الآيات والاحاديث .

وقد اخرج الامام احمد وغيره عن علي بن أبي طالب قال : خير الامة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر .

قال الامام الحافظ الذهبي : وهذا متواتر عن علي رضي الله عنه فلعنة الله على الرافضة ما أجهلهم . انتهى

وقال المصنف في الفتاوى المصرية : قد نقل عن علي رضي الله عنه من نحو ثمانين وجها خير الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : في قوله تعالى ( والذي جاء بالصدق وصدق به ) هو ابو بكر .

وفي رواية البزار : جاء بالصدق اي الحق هو محمد ﷺ . وصدق به هو ابو بكر ، أسلم على يده جمع من الصحابة ، منهم عثمان بن عفان ، والزبير ، وطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم .

وهو أول من جمع القرآن . وقاء تحرجا من الشبهات .

وأول من سمى القرآن مصحفا . وأول من سمي خليفة .

وأول من ولي الخلافة وأبوه حي ، ومناقبه رضي الله عنه كثيرة جدا .

وهو أفضل الصحابة وخيرهم باجماع اهل السنة . فقد أجمعوا على ان افضل الناس بعد النبيين والمرسلين ابو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي (١) ، ثم التابعون ، ثم تابعوهم .

---

(١) الذي في شرح السفارينية بعد قوله ثم علي ، ثم سائر العشرة ، ثم باقي اهل بدر ، ثم باقي اهل أحد ، ثم باقي أهل بيعة الرضوان ، ثم باقي الصحابة .

وسمي صديقا لانه اول من صدق بناءأعلى انه اول من آمن.
ولهذا قال ابو محجن الثقفي فيه شعرا :

وسميت صديقا وكل مهاجر
سواك يسمى باسمه غير منكر
سبقت الى الاسلام والله شاهد
وكنت جليسا بالعريش المشهر

وأولما اشتهر سيدنا ابو بكر بهذا الاسم صبيحةليلةالاسرى.
فقد أخرج الحاكم في المستدرك عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: جاء المشركون الىأبيبكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة الى بيت المقدس . قال أو قال ذلك . قالوا نعم . فقال لقد صدق اني لاصدقهبأبعد من ذلك بخبر السماء غدوة وروحة ، اسناده جيد .
ولذلك سمي ابو بكر صديقا .
وفي الطبراني بسنده عن الشافعي قال : سألت ابن عباس رضي الله عنهما اي الناس كان اول اسلاما قال ابو بكر الصديق ألم تسمع قول حسان .

اذا تذكرت شجوا من اخي ثقة
فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها وأعلمها
بعد النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده
وأول الناس منهم صدق الرسلا

وفي صحيح البخاري عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ هل أنتم تاركوا لي صاحبي ، اني قلت أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فقلتم كذبت فقال ابو بكر صدقت.

قال الحافظ الذهبي وغيره من حفاظ الاسلام وأئمتهم صحب ابو بكر النبي ﷺ من حين اسلم الى ان توفى لم يفارقه حضراً ولا سفراً الا فيما أذن له فيه من حج او غزو . وهو رفيقه في الغار قال الله تعالى ( ثاني اثنين اذ هما في الغار ) الاية. وانفق ماله على رسول الله ﷺ ، وهو أجود الصحابة رضي الله عنه .

قال ابن الجوزي الحنبلي: أجمع العلماء من المفسرين وغيرهم ان هذه الاية يعني قوله ( وسيجنبها الاتقى ) الايات . انها نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه . واسلم وله اربعون ألف دينار فأنفقها على رسول الله ﷺ .

وفي الصحيحين عن عمروا بن العاص رضي الله عنه . قال قلت يارسول الله اي النساء أحب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها . قلت ثم من قال عمر ابن الخطاب .

واخرج ابن سعد بسنده عن الزهري قال قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت هل قلت في أبي بكر شيئا قال : نعم ، قال : قل وأنا اسمع ، فقال :

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد
طاف العدو به اذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا
من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجـــذه . ثم قال صدقت ياحسان هو كما قلت .

قال العــلامة محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي رحمه الله في شرح عقيــدته .

قد أجمع المسلمون . أن المراد بالصاحب المذكور في الآية أنه ابو بكر الصديق . فنص القرآن على ثبوت صحبته . وهذه فضيلة لم يشاركه فيها احد من الصحابة .

ولهـــذا قال العلماء من قال ان أبابكر لم يكن من الصحابة كفر لتكذيبه نص القرآن .

وذكروا مثله . فيمن قــذف عائشة أم المؤمنين لأن القرآن نزل ببرائتها رضي الله عنها انتهى .

وورد عن الحسن أنه قيل له حب أبي بكر وعمر سنة . قال لا بل فريضة :

وعن مالك ابن انس رضي الله عنــه أنه قال كان السلف يعلمون ابناءهم حب أبي بكر وعمر كما يعلمون السورة من القرآن، وأما الرافضة فلجهلهم سلكوا خلاف هـــذا الطريق وتفرقوا على أهواء وبدع، نعوذ بالله من الزيغ والضلال .

وفي سنن ابي داود من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي .

وفي الصحيحين من حديث ابي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ . قال : لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا . ولكن أخوة الاسلام .

وقـــد ورد هذا الحديث من رواية جمع من الصحابة رضي الله عنهم . فهو من الاحاديث المتواترة . وكانت وفاته رضى الله عنـــه سنة ثلاثة عشر من الهجرة . وغسلته زوجته أسمـــاء بنت عميس بوصية منه رضي الله عنه، وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت خلافته سنتين واربعة أشهر وعشر ليال.

* * * *

وبعد أبي بكر في الافضلية أمير المـــؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقبه النبي ﷺ بابي حفص، وبالفاروق.

اخرج ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أسلم عمر نزل جبرائيل فقال يامحمد لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر.

وأخرج البخاري وغيره عن ابن مسعود قال ما زلنـــا أعزة منذ أسلم عمر .

وأخرج ابن سعد عنه، قال كان اسلام عمر فتحا، وكانت **هجرته** نصرا ، وكانت إمامته رحمة ، ولقد رأيتنا ما نستطيع **ان نصل** الى البيت حتى اسلم عمر فقـــاتلهم حتى تركوا سبيلنا ، وكان اسلامه رضي الله عنه في السنة السادسة من البعثة، وفرح المسلمون باسلامه ، وظهر الأسلام بمكة عقب اسلامه .

وقد وردت الآحاديث بفضائله . ففي الصحيحين عن سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ياابن الخطاب والذي نفسي بيده مالقيك الشيطان سالكا فجـــاً إلا سلك فجاً غير فجك .

وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لقد كان فيمن قبلكم من الامم محدثون فان يكن في امتي أحد كان عمر .

محدثون بفتح الدال المهملة والتشديد أي ملهمون .

وفي الترمذي من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لو كان بعدي نبي لكان عمر .

وقال حذيفة : اعرف رجلا لا تأخذه في الله لومة لائم، يعني عمر

وعلى كل حال فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب . افضل هذه الامة بعد ابي بكر الصديق بلا نزاع، وكانت افضلية ابي بكر وعمر بالنص والاجماع، ولا عبرة بمخالفة الرافضة.

وقد وافق عمر ربه في آيات كثيرة .

منها اتخاذ مقام ابراهيم مصلى حين قال عمر يا رسول الله لو اتخذت مقام ابراهيم مصلى فنزلت قوله تعالى ( واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ) الاية .

ومنها اية الحجاب ،وغير ذلك مما يزيد على نيف وعشرين، نظمها بعضهم :

ولي الخلافة في السنة التي توفي فيها ابو بكر الصديق بعهد من ابي بكر الصديق رضي الله عنهما، فقام بالامر بعده أتم قيام .وفتح رضي الله عنه جميع بلاد الاسلام(١) وفي سنة اثنتين وعشرين من الهجرة فتحت كرمان وسبحستان واصفهان ونواحيها .

---

(١) لعله الشام .

وفي آخرها توفي امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه شهيداً راجعا من مكة من الحج، قتله ابو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة ، وفاز عمر رضي الله عنه بالشهادة . وكان من دعائه اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي ونشري ببلد رسولك فاستجاب الله دعاءه . طعنه ابو لؤلؤة واسمه فيروز وهو في الصلاة، وصلى عليه صهيب رضي الله عنهما، ودفن في بيت عائشة في حجرته ﷺ مع صاحبيه .

وقال علي الدباغ الحلبي رحمه الله يمدح الحجرة النبوية مانصه:

كفى صاحبي خير الانام مزية
وبرهان صدق حين فضلهما يتلى
حلولهما في بقعة تفضل السماء
وبعثهما منها هو الشرف الاعلى

ومناقب عمر رضي الله عنه كثيرة جدا ،قد افردت في مجلدات منها كتاب الرياض النظرة في مناقب العشرة لابن جرير الشافعي، وكتاب صفة الصفوة في مناقب الصحابة وغير ذلك .

* * * *

ويليه في الافضلية والخلافة امير المؤمنين ( عثمان بن عفان ) رضي الله عنه .

ولي الخلافة سنة توفي عمر بن الخطاب ، هاجر الهجرتين ، وزوجه رسول الله ﷺ ابنتيه رقية، وام كلثوم، فلذا سمي بذي النورين ، وهو من السابقين الاولين المهاجرين وهو احد العشرة المبشرين بالجنة ، واحد الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو

عنهم راض ، واحد الذين جمعوا القرآن في المصحف على هذا الـترتيب اليـوم .

قلت : وكفى بها منقبة انه لا تصح صلاة بقراءة تخرج عن مصحفه رضي الله عنه . اه

وروي عن محمد بن سيرين انه قال اعلم الصحابة بالمناسك عثمان بن عفان :

واخرج الترمذي عن ابن عمر قـال : ذكـر النبي ﷺ فتنـة فقال يقتل فيها هذا مظلوما لعثمان رضي الله عنه،ومناقبه كثيرة.

منها كثرة صيامه وقيامه . فقد ورد انه كان يصوم الدهـر ، ويقوم الليل كله الاهجعةمن أوله، وعن ابن عمر انه قال في تفسير قوله ( أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائما يحذر الآخرةويرجو رحمة ربه ) . قال : هو عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ومنها انه جهز جيش العسرة بماله ، وذلك في غزوة تبوك في زمن عسرة من الناس وجدب من البلاد ، وقلة من الظهرحتي كان العشرة يتعاقبون على البعير الواحد الزاد والماءمع شدة الحر

وانفق عثمان رضي الله عنه مالا عظيما ، حتى قال رسول الله ﷺ ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم ، أو بعد هذا مرتين ، وقال اللهم ارض عن عثمان فاني عنه راض .

فقد ورد أن المسجد لمـا ضاق بأهـله قال النبي ﷺ من يشتري بقعة آل فلان بخير له منها في الجنـة فاشتراها من ماله بعشرين الفا . وزاد في المسجد .

ومنها أن النبي ﷺ بايع عنه بشماله مبايعة الرضوان تحت الشجرة، وله رضي الله عنه خصائص لم يشاركه فيها أحد من الصحابة ممن دونه ومنها انه ابتلي فصبر : ووفي العهد الذي بينه وبين النبي ﷺ ثم قتل مظلوما وهو صائم، وقال يوم قتله اني رأيت النبي ﷺ البارحة في المنام وأبا بكر وعمر فقال اصبر فانك تفطر عندنا القابلة ودعى بمصحف ففتحه وقتل وهو بين يديه رضي الله عنه، وكان ذلك سنة خمس وثلاثين من الهجرة بعد أن حصر في بيته عشرين يوما . أيام التشريق وصلى عليه الزبير ، ودفن في البقيع في المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام ، ورثاه حسان رضي الله عنه . بقوله :

من سره الموت صرفا لا مزاج له
فليأت مأدبة في دار عثمانا
ضحوا بأشمط عنوان السجود به
يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
ليسمعن وشيكا في ديارهم
الله اكبر ياثاراة عثمانا

* * * *

ويعده فى الافضلية والتقديم والخلافة أمير المؤمنين رابع الخلفاء على ابن ابي طالب رضي الله عنه ،مناقبه كثيرة جدا فهو احد العشرة المبشرين في الجنة . وصهره عليه السلام . واحد الخلفاء الراشدين والشجعان المشهورين والزهاد المذكورين وابو السبطين الشهيدين أسلم قديما .

وله مناقب قد دونت في مجلدات أهل السنة .

قال امامنا الامام أحمد بن حنبل . ماجاء لاحد من الفضائل ماجاء لعلي ابن ابي طالب (١) رضي الله عنه وعن بقية الصحابة أجمعين،مات شهيدا كصاحبيه قتله ابن ملجم الخارجي لعنه الله :

وسبب ذلك ، أن ابن ملجم خطب قطام بنت علقمة من تيم الرباب الخارجية . وكانت قطام جميلة فخطبها وقالت مهري ثقيل عليك فقال ما هو فقالت ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي ابن ابي طالب ،فقال والله ما أتيت الا للفتك به ثم انه اشترى سيفا بألف درهم وسقاه السم فخرج وجلس مقابل السدة التي كان يخرج منها أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه فخرج علي لصلاة الصبح فضربه ابن ملجم الخارجي على رأسه وقال الحكم لله لا لعلي وأصحابه . وقال علي فزت ورب الكعبة لا يفر منكم الكلب ،وشد الناس عليه من كل جانب حتى اوثقوه في الحبال فأدخل ابن ملجم لعنه الله على علي ابن ابي طالب رضي الله عنه فقال ان أعش فالامر لي، وان أمت فلكم العفو او القصاص ،واجتمع الأطباء عنده وكان أبصرهم بالطب أثير ابن عمرو . وكان من أطباء كسرى فأخذ رية شاة حارة فأخذ عرقا منها فأدخله في جراحة علي رضي الله عنه ثم نفخ العرق فاستخرجه فاذا عليه بياض دماغ واذا بالضربة قد وصلت الى الى أم رأسه . فقال يا أمير المؤمنين اعهد عهدك فأنت ميت .

---

(١) المعروف ان فضائل أبي بكر وعمر وعثمان اكثر ، ولعل هذا النقل غير ثابت

وسمع ابن ملجم الرنة من الدار، فقــال له من حضره يعني ابن ملجم لا بأس على أمير المؤمنين . فقـال له ابن ملجم لعنـــه الله على من تبكي ام كلثوم اعلي تبكي . اما والله لقد ضربته ضربة لو قسمت على اهل الكوفة لاتت عليهم . ثم مات أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ليلة الاحد سبعة عشر مضت من رمضان سنة اربعين من الهجرة وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفـــر وصلى عليه الحسن ودفن بدار الامارة بالكوفة على الصحيح ، ثم أحضر ابن ملجم وقطعت يداه ورجلاه وكحلت عيناه بمسامير من حديد محماة ، ثم أحرق في قوصرة .

وكان عمر أمير المؤمنين علي رضي الله عنـــه ثلاث وستـون سنة كأبي بكر وعمر ،كعمر رسول الله ﷺ وقتلت قطام يومه ذلك والله أعلم .

قال العلامة محمد بن الحاج احمد السفاريني الحنبلي في شرح عقيدته المشهورة ما نصه :

قلت ولا يخفى ان ابن ملجم الخارجي لعنه الله استحل قتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، بل عد قتله من أعظم القرب،وهذا كفر بلا ريب . حتى ان عمر ان ابن حطان الخارجي قبحه الله. قال : يمدح ابن ملجم لعنه الله تعالى :

يا ضربة من تقي ما اراد بها
الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لأذكره يوما فأحسبه
او فى البرية عند الله ميزانا

وعارضه بعض اهل الحق بقوله :

قل لابن ملجم والاقدار غالبة
هدمت ويلك للاسلام اركانا
قتلت افضل من يمشي على قدم
واول الناس اسلاما وايمانا
واعلم الناس بالايمان ثم بما
سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبي ومولاه وناصره
اضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على زعم الحسود له
مكان هرون من موسى ابن عمرانا
وكان في الحرب سيفاً ماضياً ذكراً
ليثاً اذا لقي الأقران اقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر
فقلت سبحان رب العرش سبحانا
اني لأحسبه ما كان من بشر
يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
اشقى مراد اذا عدت قبائلها
واخس الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الاولى التي جلبت
على ثمود بأرض الحجر خسرانا

قد كان يخبرهم ان سوف يخضبها
قبل المنية ازمانا فأزمانا
فلا عفى الله عنه ما تحمله
ولا سقى قبر عمران ابن حطانا
لقوله في شقي ظل مجترما
ونال ما ناله ظلما وعدوانا
يا ضربة من تقي ما اراد بها
الا ليبلغ عند الله رضوانا
بل ضربة من غوي اوردته لظى
فسوف يلقى بها الرحمن غضبانا
كأنه لم يرد قصدا بضربته
الا ليصلى عذاب الخلد نيرانا
اني لأذكره يوما فألعنه
ايضا والعن عمران ابن حطانا

وما احسن قول عمارة اليمني في الخلفاء الاربعة رضي الله عنهم بقوله :

اردت علياً وعثمانا بمخلبها
ولم يفتها ابو بكر ولا عمر
ومن اراد التأسي في مصيبته
فللورى في رسول الله معتبر

وبالجملة فبعد الخلفاء الراشدين في الفضيلة من الصحابة الستة الباقون من العشرة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض

احدهم : ابو محمد طلحة بن عبد الله . وسماه النبي طلحة الخير والفياض والجواد ومناقبه كثيرة .

ومنهم : سعيد بن زيد شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ غير بدر .

ومنهم عبدالرحمن بن عوف ،صاحب الهجرتين وفضله وسابقته مشهورة رضى الله عنه .

ومنهم أمين هذه الأمة ابو عبيدة بن الجراح .

ومنهم : ابو عبد الله الزبير بن العوام فله مناقب قد دونت في مجلدات .

ومنهم : سعد بن مالك رضي الله عنهم .

ونظم اسماء هؤلاء العشرة الكرام بعض حفاظ الاسلام وهو : ابن حجر بقوله :

لقد بشر الهادي من الصحب عشرة
بجنات عدن كلهم فضله علي

عتيق سعيد سعد عثمان طلحة
زبير بن عوف عامر عمر علي

ومن اراد ذلك فعليه بكتاب الفه العلامة ابن جرير الطبري سماه الرياض النضره في مناقب العشرة ، ومناقبهم كثيره جدا.

فمنها : ما ووى عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله ﷺ انه قال : ابو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان بن عفان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ، وسعد بن وقاص في الجنة ، وسعيد بن زيد في الجنة ، وابو عبيدة بن الجراح في الجنة ، رواه الترمذي .

وأخرج ابو داود والترمذي عن رباح بن الحارث قال : كنت قاعدا عند فلان في الكوفة ، وعنده اهل الكوفة فجاء سعيد بن زيد فرحب به وحياه واقعده معه على السرير ، فجاء رجل من اهل الكوفة ، يقال له قيس بن علقمة فاستقبله وسب وسب فقال : سعيد ، ومن يسب هذا الرجل ، فقالوا : يسب علياً ؟ فقال : لا ارى اصحاب رسول الله يسبون عندك ؟ ثم لا تنكر ولا تغير . سمعت رسول الله ﷺ يقول : ابو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، والزبير في الجنة ، وسعد في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ، وابو عبيدة بن الجراح في الجنة ، وسكت عن العاشر . قالوا ومن العاشر ؟ قال : سعيد بن زيد ؛ يعني نفسه . ثم قال : والله لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يتغير فيه وجهه ، خير من عمل احدكم ولو عمر ، عمر نوح .

زاد رزين ، ثم لا جرم لما انقطعت أعمارهم اراد الله تعالى ان لا ينقطع الأجر عنهم الى يوم القيامة ، والشقي من ابغضهم ، والسعيد من أحبهم (١) . أماتنا الله تعالى على حبهم آمين .

(١) ذكره المؤلف باختصار والحديث مطول

والاحاديث في ذلك كثيرة معلومة .

فمنها ما روي في الحديث الصحيح عنه ﷺ ، أنه قال : « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق احدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم او نصيفه » .

وقوله عليه السلام : « الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي ، من أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذأني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك ان يأخذه ومن يأخذه اللهفيوشك ان لا يفلته» .

وروي عن عمر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « احفظوني في اصحابي فمن خفظني فيهم كان عليه من الله حافظ .

ويكفي في فضل الصحابة رضوان الله عليهم قوله تعالى : ( محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ) الى آخر السورة، وقوله تعالى ( والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار ) الاية.

وقوله تعالى ( لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة ) الى آخره وغير ذلك من الآيات والاحاديث مما لا يحصى .

ويجب السكوت عما شجر بينهم من الموافقة والمخالفة والحروب : وليس هو من العقائد الدينية ولا ينفع في الدين ، بل يضر في اليقين ، وما نقل فيا شجر بينهم في الحروب والفتن، فله محامل وتأويلات حسنة ، لان قتالهم للدين بخلاف غيرهم . فورد في حقهم ان القاتل والمقتول في الجنة لانهم عن اجتهاد . وورد في قتال غيرهم ، القاتل والمقتول في النار .

وما نقل عنهم رضي الله عنهم في الحروب ؛ فباطل وكذب فلا يلتفت اليه .

قال ابن دقيق العيد الشافعي رحمه الله .

وما ورد عنهم فيما شجر بينهم في الحروب والفتن وهو صحيح . أولناه على احسن التأويلات ، وطلبنا له اجود المخارج. لأن الثناء عليهم من الله سابق ، وما نقل محتمل للتأويل ، والمشكوك لا يبطل المعلوم . انتهى

وقد جاء في الحديث الصحيح ان عبداً لحاطب بن ابي بلتعة، جاء الى رسول الله ﷺ يشكو حاطبا . فقال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار ؟ فقال رسول الله ﷺ : « كذبت لا يدخلها ، فانه شهد بدرا والحديبية » .

وورد ايضا في الحديث الصحيح ، في قصة حاطب المذكور، لما اخبر قريشا بأمر رسول الله ﷺ ، ثم اعتذر ،فقبل رسول الله ﷺ عذره . فقال عمر رضي الله عنه ؛ دعني اضرب عنق هذا المنافق . فقال رسول الله ﷺ « انه شهد بدرا » وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر، فقال(اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم).

قال بعض الأئمة : كفى بهذا الحديث معظما لشأن الصحابة رضي الله عنهم ، وكافا كل لسان عن القول ، ومانعا كل قلب عن التهمة ، وباعثا على ذكر محاسنهم ، فان الحامل لهم على تلك الوقائع هو الدين . وما جرى بينهم على سبيل الاجتهاد . والمجتهد مثاب ، وان كان مخطئا ، كما ورد في الحديث « اذا اجتهد الحاكم فأصاب ، فله أجران الخ »

وسئل الامام احمد عن أمر علي وعائشة رضي الله عنهما . فقال: ( تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ، ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ) .

.. ولهذا قال الشافعى رضي الله عنه : لو لا علي لم تعرف سيرة الخوارج البغاة ، ونقل عن أبي حنيفة مثله .

ويكفى في فضل الصحابه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين. ما ورد فى الحديث الصحيح : « أصحابي كالنجوم بأيهم اهتديتم، اقتديتم ، شبههم عليه السلام بالنجوم ، فالنجوم زينة للسماء ، ورجوم للشياطين ، وهدى لأهل الارض ، والصحابة كذلك . وهذا وجه التشبيه الوارد في الحديث والله اعلم .

قال العلامة السفاريني : ولا يرتاب احد من ذوي الألباب ، ان الصحابة الكرام هم الذين حازوا قصبات السبق ، واستولوا على معالى الأمور ، من الفضل والمعروف ، والصدق والأمانة ، وغير ذلك . والسعيد من اتبع صراطهم المستقيم ، واقتفى منهجهم القويم . والتعيس من عدل عن طريقهم انتهى .

# فصـل

## في مبحث مسألة القرآن العظيم والكلام عليها

فنقول : اعلم وفقك الله تعالى ، ان الناس قد اختلفوا في هذا القرآن المنزل على النبي المرسل ، فمذهب السلف وأئمة اهل الأثر هو ما اشار اليه الناظم بقوله :

وأقول في القرآن ما جاءت به * آياته فهو القديم (١) المنزل

( وأقول ) اي اعتقد (في) مسألة (القرآن) العظيم .

والقول له اطلاقات ، فتارة يطلق ويراد به الرأي والاعتقاد كما هنا

والمراد به عند اهل العربية واللغة ، اللفظ الدال على معنى كرجـل وفرس ، والمـراد باللفظ الصوت المشتمل على بعض الحروف سواء دل على معنى كزيد ، او لم يدل كديز مقلوب زيد قاله ابن هشام : ان (ما) الذي (جاءت به آياته) البينات وسوره المنزلات ( فهو ) اي القرآن والوحي الذي جاء من الله هـو كلام الله ( القديم المنزل ) اي الذي انزله الله تعالى على نبيـه محمد ﷺ بواسطة أمينه جبريل عليه السلام .

قال الشيخ محمد بن عبد الملـك الكرخي الشافعي في كتابه الذي سماه « الفصول في الأصول» سمعت الامام أبا منصور محمد بن احمد يقول : سمعت الامام أبا بكر عبد الله بن احمد يقول :

---

(١) في بعض النسخ الكريم : وهذا هو الاليق بمذهب شيخ الاسلام ابن تيمية

سمعت الشيخ أبا حامد الاسفرائيني يقول : مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الامصار ان القرآن كلام الله غير مخلوق . ومن قال مخلوق فهو كافر . والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسموعا من الله تعالى . والنبي ﷺ سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من النبي ﷺ . قال وهو الذي نتلوه نحن بالسنتنا، وفيما بين الدفتين وما في صدورنا مسموعا ومكتوبا ومحفوظا ومقروا، وكل حرف منه كالباء والتاء كلا م الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين انتهى كلامه بحروفه.

وقد اخبر الله بتنزيله : وشهد بانزاله على رسوله . فقال ( انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ) وقال جل شأنه (لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ) والمنزل على الرسول هو هذا الكتاب .

وقد أمر الله سبحانه بترتيله . فقال ( ورتل القرآن ترتيلا ) فأمر الله سبحانه بقراءته . والاستماع له والأنصات اليه .

وأخبر سبحانه أنه يسمع ويتلي، قال تعالى ( حتى يسمع كلام الله ) وقال تعالى (فاقرأوا ماتيسر من القرآن) (واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا)

وكل هذا من صفات هذا الموجود عندنا . لا من صفات ما في النفس الذي لا يظهر لحس ولا يدرى ما هو :

وأخبر سبحانه أن منه سورا وآيات وكلمات .

وقال المصنف شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في قاعدته : التي في بيان ان القرآن كلام الله تعالى ليس منه شيء كلاما لغيره

لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما . قال الله تعالى ( فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ) الى قوله ( نزله روح القدس من ربك بالحق ) .

فيه بيان لنزول جبريل به من الله .

فان روح القدس هو جبريل . بدليل قوله تعالى ( قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله ) .

وهو الروح الامين في قوله تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الامين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين ) . وفي قوله ( الامين ) دلالة على أنه مؤتمن على ما أرسل به لا يزيد فيه . ولا ينقص منه .

وقال في صفته في الآية الاخرى ( انه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين ، مطاع ثم أمين ) .

وفي قوله (قل نزله روح القدس من ربك) دلالة على أمور:

منها بطلان قول من يقول ان كلام الله مخلوق خلقه في جسم من الاجسام المخلوقة كما هو قول الجهمية .

وفيها دلالة أيضا على بطلان قول من قال ان القرآن العربي ليس منزل من الله بل مخلوق ، اما في جبريل أو محمد ، أو في جسم آخر كالهوى كما يقول ذلك الكلابية والأشعرية . القائلون بان الكلام العربي ليس هو كلام الله . وانما كلامه المعنى القائم بذاته ، والقرآن العربي خلقه ليدل على ذلك المعنى . وهذا يوافق قول المعتزلة ونحوهم باثبات خلق القرآن العربي ، وهو كلام باطل بنص الكتاب والسنه : ا هـ كلامه .

وقال السفاريني في شرح عقيدته ما نصه : باحثا بقوله :

قلت : ذكر جماعة من محققي الاشاعرة . السعد التفتازاني والجلال الدواني ؛ أنه لا نزاع بين الاشاعرةوبينالمعتزلةفيتسمية الله تعالى متكلما بمعنى أن يوجـد الاصوات والحروف في الغير وهـو اللوح المحفوظ ، أو جبريل أو النبي ﷺ وانمـا النزاع أن المعتزلة لم يثبتوا غير هذه الاصوات والحروف الموجـودة في الغير معنى قائما بذات الباري .

قالوا : ونحن يعني معاشر الأشاعرة نثبته . فانهم يقـولون كلام الله تعالى معنى قائما بذات الباري تعالى معبر عنه بالعبارات والألفاظ اهـ كلامه .

والمقصود أن النص القرآني يبين فساد هـذا القـول . فان قوله ( نزله روح القدس من ربك )يقتضي نزول القرآن من رب العالمين . والقرآن اسم لهذا الكتاب العربي لفظه ومعنـاه ، بدليل قوله تعالى ( فاذا قرأت القرآن ) فانه انمـا يقرأ القرآن العربي لا معانيه المجردة .

وايضا فضمير المفعول في قوله ( نزله ) عائد إلى قوله تعالى ( واللهأعلم بماينزل) . فالذى أنزله اللههوالذي نزله روحالقدس.

فاذا كان روح القدس نزل بالقرآن العربي لزم أن يكـون نزله من الله فلا يكون شيء منـه نزله من عين من الاعيـان المخلوقه . ولا نزله من نفسه .

واذا كان روح القدس نزل به من الله : علم أنه سمعه منـه

تبارك وتعالى . وهذا بيان من الله تعالى : أن القرآن الذي هو باللسان العربي المبين سمعه روح القدس من الله سبحانه ونزل به والله اعلم .

ومذهب السلف أن القرآن كلام الله وأنه قديم (١) حروفه ومعانيه . وقد توعد الله جل شأنه من جعله قول البشر . فالمراد ان رسول الله ﷺ بلغه عن مرسله، لا انه قوله من تلقاء نفسه، وهو كلام الله الذي أرسله . كما قاله تعالى ( وان احـد من المشركين استجـارك فأجـره حتى يسمع كلام الله ) فالذي بلغه الرسول هو كلام الله لا كلام غيره . وموسى عليه السلام سمع كلام الله ، عن الله بلا واسطة ، وسماع الناس مقيد بواسطة لقوله تعالى (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب ) كما كلم موسى عليه السلام وكلم نبينا ليلة الأسري .

وملخص المسألة : ان من قال : ان القرآن الذي يقرأه المسلمون ليس هو كلام الله، وهو كلام غيره ، فهو ملحد ، مبتدع ، ضال ، بل هذا القرآن هو كلام الله ، وهو مثبت في المصاحف ، وهو كلام الله تعالى مبلغا عنه مسموعا من القراء ، ليس مسموعا عنه تعالى . وهو كلام الله تعالى قديم(١)، وصوت العبد مخلوق، ولهذا قال النبي ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم » فجعل الكلام كلام الباري ، وجعل الصوت الذي يقرأ به العبد صوت القاريء ، وأصوات العباد ليست هي الصوت الذي ينادي الله به، ويتكلم به .

(١) انكر شيخ الاسلام وصف القران بالقدم ، وقال ان هـذا لم يقله السلف ، وتقدم ان كلام الله ومنه القرآن قديم النوع حادث الآحاد .

كما نطقت النصوص بذلك . بل ولا مثله ( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ) لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله .

فليس علمه مثل علم المخلوقين ، ولا قدرته مثل قدرتهم ، ولا كلامه مثل كلامهم جل وعلا .

والحاصل ان مذهب أصحابنا الحنابلة ، كمذهب السلف ، ان الله يتكلم بحرف وصوت ، لحديث ابن مسعود رضي الله عنه ، ان النبي ﷺ قال : « من قرأ حرفا من كتاب الله ، كان له بكل حرف حسنة . لا اقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ، الى غير ذلك من الاحاديث الصحيحة الثابتة.

قلت : وهـذه المسألة ، أعني مسألة الصوت والحـرف ، قد أفردت بالتأليف ، ووقفت على مؤلف لطيف ألفه العلامة احمد بن عوض المرداوي الحنبلي سماه ( طرف الطرف في مسألة الصوت والحرف ، أجاد فيه وأفاد .

وقال الامام موفق الدين بن قدامة الحنبلي في كتابه ( البرهان في حقيقة القرآن ) قال تعالى ( انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) وقال تعالى ( لكن الله يشهد بما انزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ) وهو هذا الكتاب العربي الذي هو مائة واربعة عشرسورة أولها ( الفاتحة ) ، وآخرها ( قل أعوذ برب الناس ) مكتوب بالمصاحف ، متلو في المحاريب ، مسموع بالآذان ، مقروء بالألسن ، محفوظ في الصدور ، له أول وآخر وأجزاء ، وهو كلام الله . انتهى كلامه .

ثم ان لفظ الصوت قد صحت به الأخبار

قال الحافظ : بن حجر في شرح البخاري ومن نفى الصوت يلزمه ان الله تعالى لم يسمع احدا من الملائكة ، ولا رسله كلامه . بل ألهمهم اياه إلهاما . وحيث ثبت ذكر الصوت بهذه الاحاديث وجب الايمان به ، ثم التفويض .

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله تعالى اذا تكلم بالوحي ، سمع اهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفاء فيصعقون ، ولا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام . فاذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم ، فيقولون يا جبريل : ماذا قال ربك ؟ قال : يقول الحق فينادون الحق الحق ، رواه البخاري ، وابو داود ، ورجاله ثقات .

ونحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري، وابو داود ايضا ، والترمذي ، وابن ماجه .

وقد روي في اثبات الحرف والصوت ، احاديث تزيد على اربعين حديثا ، بعضها صحاح ، وبعضها حسان ، ويحتج بها ، أخرجها الامام الحافظ ضياء الدين المقدسي وغيره ، واحتج بها البخاري وغيره من أئمة الحديث . على ان الحق جل شأنه، يتكلم بحرف وصوت ، وقد صححوا هذا الاصل ، واعتقدوه على ذلك منزهين الله تعالى عما لا يليق بجلاله من شبهات الحدوث وسمات النقص . والله أعلم .

# فصـل

## في الكلام على الصفات وأحاديثها وما يجب اعتقاده فيها

فنقول وبالله التوفيق: لما فرغ المصنف من مسألة القرآن أخذ يتكلم على الصفات وأحاديثها فقال :

---

وأقول قال الله جل جلاله * المصطفى الهادي ولا أتأول

---

( وأقول ) اي اعتقد، وقد مر معنى القول (١) (قال الله جل جلاله) وعظم شأنه في محكم كتابه العزيز (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ) كقـوله : ( انني معكما أسمع وأرى ) وقـوله (يا عيسى اني متوفيك ورافعك إلي ) وقوله ( ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ) ( اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) (بل رفعه الله اليه) وقوله ( يخافون ربهم من فوقهم ) وقوله ( أءمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض ) الآيتان . وقوله ( ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ) (تجري بأعيننا) ونحو ذلك من الآيات والاحاديث مما يجب الايمان به وتفويض معناه الى الله تعالى من غير تأويل .

قلت : ومن هذا الباب آيات الاستواء ، وسيأتي الكلام انشاء الله تعالى عليها .

---

(١) ص ١١

ثم قال الناظم رحمه الله وقال ( المصطفى ) ﷺ ( الهادي ) الذي هدى أمته من الضلالة ، وبصرهم من الجهالة ، ومن جملته ما قاله ﷺ من أحاديث هذا الباب كقوله عليه السلام « ان الله كتب التوراة بيده . وغرس جنة عدن بيده ، وان الله تعالى ينزل آخر الليل حين يبقى ثلثه الاخير الى سماء الدنيا . » الحديث

وحديث القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن . الحديث

وحديث ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء .

وكقوله ( والسموات مطويات بيمينه ) وكقوله ( ان الله مع الصابرين ) ( ان الله مع الذين اتقـــوا والذين هم محسنون ) . ( يحبهم ويحبونه ) وكقوله ( غضب الله عليهم ) وكقوله تعالى ( رضى الله عنهم ورضوا عنه ) . ونحو ذلك من الآيات والحديث ممـــا صح سنده .

فكل ذلك مما يجب الايمان بظاهره ، وتفويض معناه الى الله تعالى لا يفسر ولا يؤل ، بل تفسيره قراءته ، وامراره على ظاهره من غير تعرض لمعناه . وقد علمت اتفاق السلف على الاقـــرار والامرار ذكره الموفق في عقيدته . فلذلك قال الناظم (ولا أتأول) ذلك مما مر من الآيات والاحـــاديث الواردة في الصفـــات . وسيأتي لهذا الكلام تتمة . والسكوت أسلم .

# فصـــل

ولما فرغ الناظم من الكلام على آيات الصفات وأحاديثها . أخذ يتكلم على مسألة الاستواء وما يجب اعتقاده فيها : فقال :

وجميــع آيات الصفات أمرها * حقاً كما نقل الطراز الاول

وأرد عهدتها الى نقالهـا * وأصونها عن كل ما يتخيل

قبحاً لمن نبذ القرآن وراءه * واذا استدل يقول قال الاخطل

( وجميع آيات الصفات ) الواردة في الكتاب والسنة مما تقدم ذكـره ، فنقـول :

اعلم وفقك الله تعالى : ان هذه المسألة ، أعني مسألةالاستواء مسألة عظيمة ، قد اختلف فيها اختلافاً كثيرا.وضل فيهاطوائف من الجهمية والمعتزلة .

والصواب فيها ما كان عليه النبي ﷺ وأصحـابه الكـرام ، وأئمة السلف الاعلام . فأشار الناظم في هــذا البيت الى مسألة الاستواء ، وهي ان الله سبحانه وتعالى قد استوى على عرشه من فـوق سمواته استواءاً ، يليق بجـلاله . كما ورد ذلـك في الايات والاحـــاديث النبوية ، والنصوص السلفية ، ممـا لا يحصى . فهذا كتاب الله من أوله الى آخره ، وسنة رسوله ﷺ من أولها الى آخرها ، ثم عامة كلام الصحـــابة والتابعين ، ثم كلام سائر

أئمة الدين ، بأن الله تعالى مستو على عرشه ، بائن من خلقه ، أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا . قال الله تعالى في كتابه العزيز ( هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض ) الآية .

قال المصنف رحمه الله في كتابه الحموية : على قوله تعالى ( هو الذي خلق السموات والارض ) الخ الآية فقوله ( ثم استوى على العرش ) يتضمن ابطال قول المعطلة الجهمية الذين يقولون ( ليس على العرش استوى ) وان الله ليس مستويا على عرشه ، ولا ترفع اليه الأيدي ، ولا يصعد اليه الكلم ، ولا رفع اليه المسيح ، ولا عرج برسوله محمد ﷺ اليه ، ولا تعرج الملائكة والروح اليه ، ولا ينزل من عنده جبريل بوحي من الله تعالى .

وقوله تعالى ( ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا ) الآية وقوله ( تنزيلا ممن خلق الآرض والسموات العلى ، الرحمن على العرش استوى ) وقوله ( ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا ) وقوله ( ثم استوي على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها ) الآية

فذكر فيها عموم علمه وقدرته واحاطته ورؤيته الى غير ذلك من الايات

وأما الاحاديث : فمنها قصة المعراج وهي متواترة ، وتجاوز النبي ﷺ سماءاً سماءاً حتى انتهى الى ربه فقربه وأدناه وفرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، فلم يزل يتردد

بين موسى وبين ربه تبارك وتعالى ، ينزل من عنـد ربه فيسأله موسى كم فرض عليك ربك ؟ فيخبره فيقول ارجع الى ربك فاسأله التخفيف عن أمتك ؟ فيصعد الى ربه فيسأله التخفيف . الحديث

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي . وفي لفظ كتب في كتاب على نفسه فهو موضوع عنده ، ان رحمتي تغلب غضبي رواه البخاري: في كتاب التوحيد من صحيحه من حديث أنس : حديث الاسراء. وفيه : ثم علا به يعني جبريل - الى ان قال - فعلى به الى الجبار تبارك وتعالى . الحديث بطوله

وقال ﷺ في حكومة سعد بن معاذ في بني قريظة « لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة :

وفي لفظ من فوق سبع سموات ، وأصل القصة في الصحيحين .

وفي صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال : لطمت جارية لي فأخبرت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي فقلت : يا رسول الله أفلا أعتقها ؟ قال بلى إءتني بها ؛ فجئت بها رسول الله ﷺ فقال لها : أين الله ؟ فقالت : في السماء . قـال من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله . قال : إنها مؤمنة .

وفي لفظ اعتقها فانها مؤمنة .

قال الحافظ الذهبي : في كتاب العرش ، روى هذا الحديث

مسلم ، وابو داود ، والنسائي ، وغير واحدمن الائمةفي تصانيفهم يؤدونه كما جاء .

وفي صحيح البخارى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كانت زينب تفخر على نساء النبي ﷺ ، وفي لفظ على ازواج النبي ﷺ فتقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سموات

وقال ﷺ في حديث الاوعال «والعرش فوق ذلك ، والله فوق عرشه ، ويعلم ما أنتم عليه » رواه الامام احمد في المسند . ورواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد .

وقول عبد الله بن رواحة الذي أنشده النبي ﷺ شعراً :

شهدت بأن وعد الله حق وان النار مثوى الكافرينا

وان العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا

ويحمله ملائكة كرام ملائكة الآله مسومينا

وقد ذكر الله تعالى استواءه على العرش في سبع آيات من كتابه.

فتارة يخبر بعروج الملائكة ، وصعودها ، وارتفاعها اليه .

وتارة يخبر بنزولها من عنده .

وتارة يخبر بأنه العلي الاعلى ، كقوله تعالى ( سبح اسم ربك الاعلى ) ( وهو العلي العظيم ) .

وأما الاحاديث والاثار عن الصحابة والتابعين فلا تحصى .

قال العلامة الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي رحمه الله تعالى في كتابه : أقاويل الثقات في تأويل الصفات

ومما احتج به اهل الاثبات : بأنه الذي طبع الله عليه اهـل الفطرة العقلية السليمة من الاولين والاخرين ، الذين يقولون إنه فوق العالم . اذ العلم بذلك فطري عقلي ضروري لا يتوقف على سمع .
قالوا : ولم يقل قائل يا الله الا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو

وأما العلم ( بانه تعالى استوى على عرشه ، بعد خلق السموات والارض في سته أيام ، فهذا سمعي عـلم بالوحي على الانبياء . فاخبروا عليهم السلام أممهم بذلك . انتهى

قال سيدنا الكبير الشيخ عبد القادر الحنبلي الجيلاني رحمه الله ونفعنا به في الدارين في كتابه الغنية في الفقه :
قال : وهو تعالى بجهة العلو مستو على العرش ، محيط عمـله بالاشياء ( اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعـه ) . ( يدبر الأمر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه ) الاية .

ولا يجوز وصفه بانه في كل مكان . بل يقـال إنه على العرش استوى . كما قال ( الرحمن على العرش استوي ) ثم قال وينبغي اطلاق صفة الاستواء من غير تاويل ، وانه استواء الذات على العرش .

ثم قال : وكونه مستويا على العرش ، مذكور في كل كتاب أنزله على نبي أرسله بلا كيف ، هذا نص كلامه . انتهى
قال العلامة السفاريني في شرح عقيدته لما ساق كلام الشيخ عبد القادر الحنبلي رحمه الله ما نصه :

اذا علمت هذا فاعلم ان كثيرا من الناس يظنون ان القائل بالجهة والاستواء ، هو من المجسمة لانهم يتوهمون ان من لازم ذلك التجسيم وهذا وهم فاسد ، وظن كاذب . فان اهل الاثبات المتبعين للنصوص من الاخبار والآيات ، ينزهون الله تعالى عن التكييف والحد . ويعتقدون ان من وصفه تعالى بالجسم أو كيفه ، فقد زاغ وألحد كما اشار الى ذلك السفاريني الحنبلي في عقيدته بقوله :

سبحانه قد استوى كما ورد     من غير كيف قد تعالى ان يحد
فلا يحيط علمنـا بذاتـه     كذاك لا ينفك عن صفاته

وروى اللالكائي الحافظ رحمه الله في كتاب السنة ، من طريق قرة بن خالد عن الحسن البصري رحمه الله ، عن أمه خيرة مولاة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها انها قالت في قوله تعالى ( الرحمن على العرش استوى ) الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، والبحث عنه كفر ، وهذا له حكم المرفوع لان مثله لا يقال من قبل الرأي .

وروى يحيى بن آدم عن أبيه . وابن عيينة قال : سئل ربيعة بن عبد الرحمن وهو شيخ الامام مالك عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى ) كيف استوى ؟ قال الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق .

وروي نحو ذلك عن الامام مالك رضي الله عنه ، رواه عنه ابن عبد البر فى التمهيد .

وروى الامام الشافعي رضي الله عنه ، انه سئل عن الاستواء فقال : آمنت بالله بلا تشبيه ، وصدقت بلا تمثيل، واتهمت نفسي في الادراك ، وأمسكت عن الخوض غاية الامساك .

وعن الامام احمد رحمه الله تعالى ، لما سئل عن الاستواء . أجاب بقوله : استوى كما ذكر ، لا كما يخطر للبشر .

وقال السفاريني في شرح عقيدته : المسماة بالدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ما نصه :

فمعنى قول أم سلمة رضي الله عنها ، ومن نحى نحوها من الأئمة، (الاستواء معلوم): اي وصف الله تعالى بأنه على العرش استوى معلوم بطريق القطع الثابت بالتواتر .

واما الوقوف على حقيقة أمر يعود الى الكيفية فمجهول ، والجهالة فيه من جهة انه لا سبيل لنا الى معرفة الكيفية ،لأنها تبع للماهية . ( والسؤال عنه بدعة ) ، لان الصحابة لم يسألوا عنه النبي ﷺ ، والتابعين لم يسألوا الصحابة . ولأن جوابه يتضمن الكيفية ، ولهذا قيل في الجواب : لمن دخلت عليهم الشبهة، طالبين بسؤالهم التكييف ، (الكيف مجهول)، فالذي ثبت نفيه بالشرع والعقل واتباع السلف، انما هو علم العباد بالكيفية ،فعندها تنقطع الأطماع ، وعن ادراكها تقصر العقول ،والوقف على درج سلم التسليم تنتهي همم الأئمة الفحول . فسبحان الله تعالى عما يقوله المعطلة والممثلة علواً كبيرا .

قال الامام القرطبي ، وابو زيد القيرواني ، والقاضي

عبد الوهـــاب المالكي ، وجماعـــة من شيوخ الفقه والحديث .

وابن عبد الـــبر والقاضي ابو بكر العربي ، وابن فورك ، وغيرهم مما لا يحصى عددهم . ان الله سبحانه مستو على العرش بذاته . واطلقوا في بعض الاماكن فوق عرشه .

قلت وهو الذي به نقول · وقـــد أشار الى ذلك المحقـــق ابن القيم في نونيته :

قال شيخ الأسلام ابن تيمية رحمه الله في بعض كتبه : استوى على عرشه على الوجه الذي يستحقه سبحانه وتعالى من الصفات اللائقة به .

الى ان قال : ما أخبر به الرسول عن ربه ، فانه يجب الايمان به ، سواء عرفنا معناه أم لم نعرفه ، لأنه الصادق المصدوق . فما جاء في الكتاب والسنة ، وجب على كل مؤمن الايمان به ، وان لم يفهم معناه .

وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها .

مع ان هذا الباب يوجد عامته منصوصا عليه في الكتاب والسنة ، متفق عليه بين سلف الأمة .

وقال أيضا في رسالته التدمرية : أما علوه تعـــالى ومباينته للمخلوقات ، فيعلم بالعقل . وأما الاستواء على العرش فطريق العلم به السمع . وليس في الكتاب والسنة وصف له بأنه لا داخل العلم ولا خارجه ، ولا مباينه ، ولا مداخله ، فيظن المتوهم انه اذا وصف بالأستواء على العرش كان استواءه كاستواء الانسان على ظهور الفلك والانعام . فتعالى الله وتقدس عن ذلك ؛ فهذا خطأ في مفهوم استوائه على العرش حيث ظن انه مثل استواء الانسان .

فانه ليس في اللفظ ما يدل على ذلك لانه تعالى اضاف الاستواء الى نفسه الكريمة ، كما أضاف اليه سائر أفعاله وصفاته . فذكر انه خلق ثم استوى ، كما ذكر انه قدر فهدى وقد علم انه الغني عن الخلق . انتهى (١)

واعلم ان مذهب اصحابنا الحنابلة ، كمذهب السلف ، أنهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل. فان الله تعالى ذات لا تشبه الذوات ، ومتصف بصفات الكمال التي لا تشبه الصفات المحدثات . فاذا ورد القرآن العظيم وصحيح سنة النبي الكريم ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، بوصف للباري جل شأنه تلقيناه بالقبول والتسليم ، ووجب اثباته على الوجه الذي ورد ، ونكل معناه للعزيز الحكيم ؛ ولا نعدل به عن حقيقة وصفه ، ولا نلحد في كلامه ، ولا في اسمائه وصفاته ، ولا نزيد على ما ورد ، ولا نلتفت لمن طعن في ذلك ورد .

فهذا اعتقاد سائر الحنابلة ، كسائر السلف ، فمن عدل عن هذا المنهج القويم ، زاغ عن الصراط المستقيم .

فمذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تكييف ؛ فهو سبحانه ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله .

فكل ما أوجب نقصا او حدوثا فالله منزه عنه حقيقة ، وانه مستحق الكمال الذي لا غاية فوقه .

فمذهب السلف عدم الخوض في مثل هذا والسكوت عنه ، وتفويض علمه الى الله تعالى .

قال سفيان بن عيينه رحمه الله ، وناهيك به، كل ما وصف الله به نفسه في كتابه ، فتفسيره قراءته والسكوت عنه ، ليس لأحد ان يفسره ، الا الله تعالى ورسوله . فهذا مذهب سلف الامة :

قال العلامة المحقق السفاريني الأثري رحمه الله تعالى ،في شرح عقيدته : المسمى بلوامع الأنوار البهية،ما نصه :

فمذهب السلف في آيات الصفات وأحاديثها ، بانها لا تؤول ولا تفسر ، بل يجب الايمان بها ، وتفويض معناها المراد منها الى الله تعالى .

فقد روى الحافظ اللالكائي عن محمد بن الحسن قال : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق الى المغرب ، على الايمان بالصفات من غير تفسير ، ولا تشبيه .

قال العلامة فقيه الحنابلة وعالمهم الشيخ مرعي بن يوسف المقدسي وغيره : مضت أئمة السلف على الايمان بظاهر ما جاء في الكتاب من آيات الصفات وأحاديثها .

وكان الزهري ، والاوزاعي ، ومالك ، وسفيان الثوري ، والليث بن سعد ، وعبد الله بن المبارك، والامام احمد، واسحاق بن راهوية ، وغيرهم رحمهم الله تعالى، يقولون : في آيات الصفات وأحاديثها ، مروها كما جاءت ، وتقدم قول سفيان بن عيينه :

وكذا كل ما جاء في الحديث من ذكر الوجه، واليد، والنزول، والعين ، والاصابع ، ونحو ذلك ، مما صح سنده وثبت في السنة

من هذا الباب . فهذا كله نمره ونكل معناه الى الله ، فلا نفسره ، ولا نعترض لمعناه بتأويل ، وهو مذهب السلف كما تقدم . اه

وقد تقدم قول الامام الموفق : بان السلف قـد اتفقوا على الاقرار والامرار بآيات الصفات وأحاديثها ، بلا كيف . فلهذا قال الناظم رحمه الله ( أمرها حقا ) بلا تكييف ، ولا تمثيـل ؛ ولا تعطيل لها ، ولا تأويل ، بل مذهبنا الاقرار والامرار كما تقدم .

فلهذا قال : ( كما نقل الطراز الاول ) اي الرعيل الاول ممن تقدم ذكرهم قريبا ، كالسفيانين الثوري ، وابن عيينه ، واحمد بن حنبل ، وابن المبارك ، وابن راهويه ، وغيرهم من أئمة السلف ، نفعنا الله بهم .

قال الناظم : رحمه الله تعـالى ( وأرد عهدتها ) اي آيات الصفات وأحاديثها ، والمراد ( بعهدتها ) اي الخروج من تبعتها . اي أصون اعتقادي عن الخوض فيها بعزوها الى نقالها ، اي ناقليها اي الأئمة الاثبات . ومخرجيها المهرة الثقات ، رحمهم الله تعالى قال الناظم ( وأصونها ) أي أحميها ، فالصيانة هنا هي الحماية ، أي أصون آيات الصفات وأحاديثها ، عن الخوض في معناها ؛ بتأويل ، او تشبيه ؛ او تعطيل ؛ او تكييف . بل عن كل مـا يتخيل بالبال ، او يخطر بالخيال . فمتى خطر ببالك شيء من ذلك ؛ فالله بخلاف ذلك .

قال الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه كل ما أخبر الله تعالى به في كتابه من صفاته . فهو كما أخبر لا كما يخطر للبشر والله اعلم .

ثم ان الشيخ الناظم رحمه الله ذم من ترك السنة . ورغب عما اتفق عليه الائمة بقوله « قبحا لمن » الذي « نبذ القرآن » العظيم « وراءه » اي وراءه ظهريا بأن اعرض عنه ، ورغب عن هديه والاقتداء به . والاستيظاء بأنواره . واتبع هواه،فسلك غيرطريقه المستقيم،ونهجه القويم . فحكم المعقول ونبذ صريح المنقول .

فتارة يقول القرآن عبارة عن كلام الله تعالى . وانما كلامه القائم بنفسه المقدسة جل وعلا .

وتارة يقول القرآن حكاية عن كلام الله .

وقد اشبع المصنف ابن تيمية الرد على من قال بالكلام النفسي وأبطله من نحو تسعين وجهاً . ذكره تلميذه في كتابه النونية .

نكتة : حكي ان الشيخ ابن تيمية مر على ابي حامد الاسفرائيني ولم يسلم عليه . فقال له الاسفرائيني : لم لا تسلم ؟ فقال : قد سلمت في نفسي لان من لازم مذهبك القول بذلك فعجب منه انتهى (١)

ومن العجب ان من قال بذلك ليس عنده دليل الاقول هذا الشاعر النصراني ، وهو الاخطل بقوله :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

نعوذ بالله من التجاهل ما هذا الا مكابرة للحق بعد ظهوره.

قلت : واستدلالهم على هذه المسالة العظيمة أعني مسالة الكلام كاستدلال بعضهم على مسالة الاستواء بالاستيلاء بقول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق . الخ

---

(١) شيخ الاسلام لم يدرك أبا حامد الاسفرائيني والحكاية ذكرها السبكي في طبقات الشافعية ان الموفق مر على ابن عساكر . الخ ابن مانع.

وكلاهما باطل من وجوه ليس هذا موضع ذكرها .

وقد تقدم ان القرآن كلام الله منزل ، غير مخلوق ،تكلم به حقيقة ، وأنزله وحياً على رسوله محمد ﷺ .

وقال الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى ؛ القرآن كيف تصرف ! فهو غير مخلوق . ولا نرى القول بالحكاية والعبارة وغلط من قال بهما وجهله . فقال : من قال ان القرآن عبارة عن كلام الله ؟ فقد غلط وجهل .

---

وقال احمد: قوله تعالى «تكليما» يبطل الحكاية ، منه بدا واليه يعود

---

(١) [ انتهى . فلهذا أشار الناظم بقوله « لمن نبذ القرآن ؟ » ] باستدلاله بدليل غير مرضي عند اهل السنة والجماعة ، مع فساده أيضاً عقلا ونقلا . واستدلالهم هذا كاستدلال المعتزلة على مسألة الاستواء .بقول الشاعر بالاستيلاء،قداستوى بشر على العراق الخ.

وهذا ايضا باطل من وجوه . ليس هذا موضع ذكرها .

فأين الحياء من الله ، ومن رسوله ، ومن أئمة المسلمين وعامتهم ، والاستدلال على تلك المسألتين العظيمتين اللتين الكلام فيهما مزلة اقدام ، ومضلة افهام .نسال الله التوفيق والثبات الى الممات آمين.

---

(١)ما بين القوسين مشطوب عليه في الاصل ولا يظهر المعنى الا به .
او يكون قوله : باستدلاله متصلا بقوله : فقد غلط وجهل .فيكون فيه تقديم وتاخير . بالنسبة لكلام احمد الثاني الذي بين الخطين:فعلى هذا يكون تقدير الكلام فقد غلط وجهل باستدلاله بدليل غير مرضي الخ .
والله اعلم بالصواب .

وقد صرح الناظم رحمه الله بالذم على من رغب عن منهاج اهل السنة ؛ وبين العلة في ذلك بقوله : ( واذا استدل ) على مسالة القرآن ومسالة الكلام يقول هو « قال الأخطل » بقوله :

قد استوى: إشارة الى قول الاخطل المتقدم ذكره .

قال الموفق : سالت شيخنا في العربية أبا الخشاب عن هذا البيت، فقال : فتشت دواوين الاخطل القديمة ، فلم أر هذا البيت فيها ! وانما وجدت :

ان البيان لفي الفؤاد ، فحرفوه الى آخره والله أعلم

تنبيه : قال الامام احمد وغيره لم يزل الله متكلماً إذا شاء . وكماله المقدس مقتض لكلامه ؛ وكماله من لوازم ذاته ، فلا يكون الا كاملا . والمتكلم أكمل ممن لم يتكلم . انتهى بحروفه .

# فصـــل

ولما انهى الناظم الكلام على مسالة القرآن والاستواء :
شرع يتكلم على الرؤية ، والنزول ، فقال :

والمؤمنون يرون حقـــاً ربهم

«والمؤمنون» بربهم ورسله ايمانا لا يعتريه شك «يرون حقاً ربهم» يوم القيامة، يعني في الجنة، اي حقيقة لا مجازا، فنقول: وبالله التوفيق.

اعلم ان الله تعالى : ينظر يوم القيامة بالابصار في دار القرار باتفاق أئمة الدين الاخيار . كما جاءت به النصوص القرآنية ، وتواترت به الاحاديث النبوية والآثار السلفية ، وأجمع عليه اهل الحق من الطائفة الاسلامية ، فرؤية الله رب العالمين أعظم وأجـــل نعيم الجنة ، وهي النهاية العظمى التي شمر اليها السابقون ، وتنافس فيها المتنافسون . واتفق الانبياء والمرسلون والصحابة والتابعون على ثبوتها في دار القرار وانما انكرها اهل البدع والاعتزال .

قـــال الله تعالى ( وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظـــرة ) وقال تعالى ( للذين أحسنوا الحسنى وزياده ) الى غير ذلك .

وقال في حق اهل الكفر والفجور ( كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ) وقال تعالى (ولدينا مزيد ) فهذه أربعة نصوص قرآنية .
وأما الاحاديث النبوية فكثيرة جداً .

فاخرج مسلم والترمذي وابن ماجه عن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : اذا دخل اهل الجنة ،الجنة؛ يقول الله تعالى ( تريدون شيئاً أزيدكم ) فيقولون . ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟ قال . فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب اليهم من النظر الى ربهم .

ثم تلا هذه الآية ( للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ) .

واخرج ابن جرير ، وابن مردويه ، عن ابي مسعود الاشعري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : ان الله يبعث يوم القيامة مناديا ينادي بصوت يسمع أولهم وآخرهم يا اهل الجنة ، ان الله وعدكم الحسنى وزيادة . « الحسنى » الجنة «والزيادة » النظر الى وجه الرحمن .

قال الامام الحافظ البيهقي في كتاب الرؤية : هذا تفسير قد استفاض واشتهر فيما بين الصحابة والتابعين . ومثله لا يقال الا بتوقيف ؛ وفسروا قوله تعالى ( وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ) . قال ابن عباس رضي الله عنهما : حسنة، (الى ربها ناظرة ) قال : ناظرة الى الخالق . وقال عكرمة (ناضرة) من النعيم (الى ربها ناظرة) قال : تنظر الى الله نظرا . اخرجه ابن أبي حاتم ، واللالكائي ، عن الحسن في قوله (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ) قال : اذا كان يوم القيامة برز ربنا تبارك وتعالى فيراه الخلق ، يعني المؤمنون ، ويحجب عنه الكفار فلا يرونه .

فهذه تفاسير هذه الآيات مسندة عن النبي ﷺ وأصحابه والتابعين بلغت مبلغ التواتر عند أئمة الحديث .

وأما الاحاديث الواردة في الرؤية : فأخـرج اللالكائي في السنة ، من طريق مفضل بن غسان قال : سمعت يحيى بن معين يقول: عندي سبعة عشر حديثا في الرؤية ، كلها صحاح .

وقد ورد ذلك من حديث الصديق، وأنس، وجابر ، وجرير البجلي ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ؛ وصهيب ، وعبادة بن الصامت ، وابن عباس ، وابن عمـر ؛ وابن مسعـود ، ولقيط بن عامر ، وابي رزين ، وعلي بن ابي طالب ، وعدي بن حاتم ، وعمار بن ياسر ، وفضاله بن عبيـد ، وابي سعيد الخـدري ، وابي موسى الاشعري ، وبريدة بن الحصيب رضي الله عنهم أجمعين.

ففي البخاري ، ومسلم ، وغـيرهما : من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ، ان أناساً قالوا : يا رسول الله : هـل نرى ربنـا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : هل تضارون في رؤيـة القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا . قال: هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها حجاب ؟ قالوا: لا . قال: فانكم ترونه كذلك الحديث.

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث جرير البجلي قال : كنا جلوساً مع النبي ﷺ (ننظر الى القمر ليلة اربعة عشر فقـال : انكم سترون ربكم عيانا ، كما ترون هذا لا تضارون في رؤيته ، فـان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة ، قبـل طلوع الشمس ، وقبل الغروب الخ .

قال العلمـاء : المعنى ترون ربكم ، رؤية ينـزاح معها الشك ، وتنتفي معها الريبة ، كرؤيتكم القمر لا ترتابون ، ولا تمترون .

وفي لفظ . لا تضامون ، وروي بتخفيف الميم وضم أوله من الضم ، اي لا يلحقهم في رؤيته ضيم ، ولا مشقة ، وبتشديدها والفتح على حرف التا ، اي لا يضام بعضكم بعضا . يريد انكم ترونه ، وكل واحد في مكانه .

وأخرج الترمذي عن سعيد بن المسيب انه لقي أبا هريرة . فقالوا : ابو هريرة ، أسأل الله ان يجمع بيني وبينك ، في سوق الجنة . قال سعيد فيها سوق قال نعم . اخبرني رسول الله ﷺ ان اهل الجنة ، اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل اعمالهم ، ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من ايام الدنيا ، فيزورون ربهم ، ويبرز لهم عرشه . ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة . فتوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، ويجلس أدناهم وما فيهم دني على كثبان المسك ، والكافور ، وما يرون ان أصحاب الكراسي أفضل منهم مجلسا ، قلت : يارسول الله وهل نرى ربنا ؟ قال : نعم . هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلت لا ، قال كذلك لا تضارون في رؤية ربكم . ولا يبقى في ذلك المجلس رجل ، الا حاضره الله محاضرة حتى يقول ( للرجل منهم يا فلان ، ابن فلان ؟ أتذكر يوم فعلت كذا وكذا ؟ فيذكره بعض غدراته في الدنيا . فيقول يا رب . أفلم تغفر لي ؟ فيقول . بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه . والاحاديث في ذلك كثيرة جدا .

وقد خص الله سبحانه رؤيته في الاخرة بالمؤمنين . وحجب

عنها الكافرين ، والمكذبين لها بقوله . ( كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ) الايات .

قال علي بن المديني ، سألت عبد الله بن المبارك ، عن رؤية الله تعالى ، فقال ما حجب الله عنه أحدا الا عذبه ثم قرأ (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم انهم لصالوا الجحيم . ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون ) قال الرؤية . فقلت ان عندنا قوما من المعتزلة ، ينكرون هذه الاحاديث (ان الله ينزل الى السماء الدنيا . وان اهل الجنة يرون ربهم . فحدثني يعني ابن المبارك، بنحو عشرة احاديث في هذا وقال . اما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين ، والتابعون أخذوه عن أصحاب رسول الله ﷺ فهم عمن أخذوه .

وقال عبد العزيز بن ابى سلمة الماجشون ولم يزل يملي لهم يعني المبتدعة من الجهمية ، واضرابهم الشيطان ، حتى جحدوا قوله تعالى ( وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ) فقالوا لا يراه أحد يوم القيامة ، فجحدوا والله أفضل كرامة الله التي اكرم بها أوليائه يوم القيامة ، من النظر الى وجهه الكريم ، ونظرته اياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر . فورب السماء والارض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ، ثوابا ينضر بها وجوههم دون المجرمين ، ويفلج بها حجتهم على الجاحدين، وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا يرونه ، كما زعموا انه لا يرى ، ولا يكلمهم ، ولا ينظر اليهم ، ولهم عذاب أليم .

(ويحجب عنها) : اي الرؤية (المكذب) بها، اي برؤيته وتكليمه لعباده المؤمنين للايات المتقدمة . انتهى

وقال سيدنا الامام احمد : من لم يقل بالرؤية فهو جهمي .

وقال ايضا : وقد بلغه عن رجل قال: ان الله لا يرى في الاخرة؟ فغضب غضباً شديدا، وقال . من قال ان الله لا يرى في الاخرة؟ فهو كافر . او فقد كفر عليه لعنة الله وغضبه كائنا من كان من الناس . أليس يقول الله عز وجل ( وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ) وقال . ( كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ).

وقال ايضا . من كذب بالرؤية فهو زنديق .

وقال ايضا نؤمن بها ، اي الرؤية وأحاديثها . ونعلم انها حق . فنؤمن بأن الله يري، نرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيها ، ولا نرتاب .

وقال من زعم ان الله لا يرى في الآخرة، فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره يستتاب ، فان تاب والا قتل .

وقال ابو عبد الله ايضا . اذا لم نقـــر بما جاء عن النبي ﷺ رددنا على الله أمره . قال الله تعالى (وما آتيكم الرسول فخذوه) الاية.

قلت . فهذه ستة نصوص عن الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى فهو امام كل سلفي .

# فصـــل

في الكلام على مسألة النزول : فنقول : لما فرغ الناظم رحمه الله تعالى من الكلام على الرؤية أخذ يتكلم على النزول . فقال :ـ

والى السماء بغير كيف ينزل

( والى السماءالدنيا بغير كيف ينزل)سبحانه وتعالى بلا كيف . كما أنه استوى على عرشه بلا كيف .

واعلم وفقك الله تعـــالى أن هذه المسألة أعني مسألة النزول مما يثبتها السلف ولا يتأولونه كالاستواء وغيرها من الصفات . والاحاديث في ذلك كثيرة جدا :ـ

منها ما أخرجه الامام احمد والترمذى وابن ماجه عن عائشة أن النبي ﷺ قال ان الله ينزل الى سماءالدنيـــا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم بني كلب .

ولحديث الامام احمد ومسلم عن أبي سعيدوأبيهريرةرضي الله عنهما عن النبي ﷺ ان الله تعالى يمهل حتى اذا كانثلث الليل الآخر نزل الى سماء الدنيا فينادي هل من مستغفر ؟ هل من تائب؟ هل من سائل؟هل من داع؟حتى ينفجر الفجر. رواه البخاري وغيره.

قال الحافظ ابن حجر في كتاب فتح الباري : قد احتلفوا في معنى النزول على أقـــوال :

فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة :

ومنهم من انكر صحة الحديث وهم الخوارج .

ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمنـا على طريق الأجمال ، منزها الله تعالى عن الكيفيـة والتشبيه وهم جمهور السلف ونقله البيهقي وغيره من الائمة الاربعة ، والسفيـانين والحمـاديين والأوزاعي والليث بن سعد وغيرهم .

ومنهم من أوله على وجه يليق ، مستعمل في كلام العرب.

قال الأمام البيهقي وأسلمها الايمان بلا كيف والسكوت عن المراد ، إلا أن يرد ذلك عن الصادق فيصار اليه .

ومن الدليل عليه أن اتفـاقهم على أن التأويـل المعين غير واجب فحينئذ التفويض أسلم .

وقال الطوفي : المشهور عن أصحاب الأمام احمد أنهم لا يتأولون الصفات التي من جنس الحركة كالمجيء والأتيان والنزول والتدلى والدنو ، كما لا يتأولون غيرها من الصفات متابعة للسلف .

قال: وكلام السلف في هذا الباب يدل على اثبات المعنى المتنازع فيه ، قال الاوزاعي لما سئل عن حديث النزول قال يفعل الله ما يشاء ).

وقال حماد بن زيد يدنو من خلقه كيف يشاء ، وهو الذي حكاه الاشعري عن أهل السنة والحديث .

وقال عثمان ابن سعيد الدارمي وادعى المعارض ان قول النبي ﷺ ، ان الله ينزل الى السماء الدنيا . الحديث . فادعى أن الله لا ينزل

بنفسه، انما ينزل أمره ورحمته؛ وهو على العرش، وعلمه في كل مكان من غير زوال، لأنه الحي القيوم، والقيوم بزعمه من لا يزول، قال فيقال. لهذا المعارض وهذا أيضا من حجج النساء والصبيان، ومن ليس عنده بيان، لان أمر الله ورحمته ينزلان كل وقت وأوان فما بال النبي ﷺ يحد لنزوله الليل دون النهار، وبوقت من الليل شطره أو الاسحار. أفأمره ورحمته يدعوان العباد الى الاستغفار. أو يقدر الامر والرحمة أن يتكلما دونه، فيقولان هل من داع فاستجيب له، هل من مستغفر فاغفر له. الحديث الخ. كلام. الدارمي رحمه الله. (١)

قال الامام الحافظ أبو بكر ابن خزيمة (باب ذكر أخبار ثابتة السند) ورواها علماء الحجاز والعراق عن النبي ﷺ، في نزول الرب جل وعلا، والله جل وعلا ولى نبيه عليه افضل الصلاة واتم السلام بيان ما بالمسلمين اليه الحاجة من أمر دينهم، فنحن قائلون، ومصدقون بما في هذه الاخبار من ذكر للنزول غير متكلفين القول بصفة الكيفية: اذ النبي ﷺ، لم يصف لنا كيفية النزول، ثم ذكر الاخبار باسانيده، انتهى كلامه رحمه الله فما أعلمه من امام:

تنبيه الذي يلزم من قال باثبات صفة النزول، يلزم مثله من قال بصفة الحياة، والسمع، والبصر؛ والعلم، والكلام، والقدره، والارادة له تعالى. لانه لا يعقل من هذه الصفات الا الاعرض

(١) منقول من شرح السفارينية باختصار. وبقية البحث مفيد جدا

التي لا تقوم الا بجوارحنا فكما نقول نحن واياهم حيـــاته وسمعه وبصره ليسا اعراض بل هي صفات لا كما تليق بنا .

فنقول نحن ايضا فمثل ذلك بعينه نزوله وفوقيته واستواءه على عرشه ونحو ذلك ، فكل ذلك ثابت معلوم غير مكيف بكيفية ولا انتقال يليق بالمخلوق ، بل هو كما اخبر هو ورسوله مما يليق بجلال عظمته وباهر كبريائه ، لان ذاته وصفاته معلومة من حيث الجملة ثبوت وعلم وجود بلا كيفية ولا تحديد .

فكلما ورد في الكتاب وصح عن رسول الملك الوهـــاب : فسبيله واحد من النزول ، واليد ، والقدم ، والوجه ، والغضب والرضاء . وغيره فاحفظ هذه القاعدة ذكره السفاريني في شرح عقيدته

قال الامام ابو الحسن في كتابه الابانه مانصه :

قال سيدنا الامام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه . احاديث الصفات تمر كما جاءت من غير بحث عن معانيها وتخالف ماخطر في الخاطر عند سماعها . وننفي التشبيه عند ذكرها مـــع تصديق النبي ﷺ . وكل ما يعقل أو يتصور فهو تكييف وتشبيه وهو محال . وهذا هو مذهب السلف . فهو الحق . وقد تقدم هذا في الباب قبله . انتهى .

# فصل

في الكلام على أمر المعاد كالميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار. وأنهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء. والقبر والسؤال. وما في معنى ذلك. فنقول وبالله التوفيق.

اعلم أن الناظم لما فرغ من الكلام على النزول، شرع يتكلم على بقية السمعيات بما اعتقده اهل السنة والجماعة من امر المعاد فقال :-

---

وأقر بالميزان والحوض الذي أرجو اني منه ريا أنهل

---

وكذا الصراط يمد فوق جهنم فمسلم ناج وآخر مهمل

---

( واقر ) بلساني واعتقد بجناني ( بالميزان ) الذي توزن به الاعمال يوم القيامة.

قال علماؤنا كغيرهم نؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق.

قالوا وله لسان وكفتان توزن به صحائف الاعمال.

قال ابن عباس : توزن الحسنات بأحسن صورة، والسيئات بأقبح صورة.

قال الامام القرطبي. قال العلماء اذا انقضى الحساب كان بعده وزن الاعمال لان الوزن للجزاء فينبغي ان يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة تقرير الاعمال، والوزن لاظهار مقاديرها.

والحاصل ان الايمان بالميزان كأخذ الصحف ثابت بالكتاب والسنةوالاجماع ، قال الله تعالى(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من حردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ) وقال تعالى ( فأما من ثقلت موازينه ) الآيتان .

قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه ان ميزان رب العـالمين ينصب للجن والانس ، يستقبل به العرش أحد كفتيه على الجنة ، والأخرى على جهنم لو وضعت السموات والارض في احداهن لو سعتهن وجبريل آخذ بعموده وينظر الى لسانه .

قال الشيخ مرعي في البهجة في هذا ان اعمال الجن توزن كما توزن أعمال الانس .

قال السفاريني وهو كذلك ارتضاه الأئمة .

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبن عباس : قال يحاسب الناس يوم القيامة ، فمن كانت حسناته اكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحـدة دخل النار . ومن استوت حسنـاته وسيئـاته ، كان من أصحـاب الأعـراف فوقفوا على الصراط .

وأخرج أحمد في الزهد من طريق رباح بن زيد عن أبي الجراح عن رجل يقال له حازم ، ان النبي ﷺ نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكي . فقال : من هذا ؟ قال : فلان . قال جبريل : أنا ازن اعمال بني آدم كلها الا البكاء ، فان الله يطفيء بالدمعة بحورا من نيران جهنم

وأخرج البيهقي عن مسلم بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ «ما اغرورقت عين بمائها الاحرم الله سائر ذلك الجسد على النار . ولا سالت قطرة على خدها فرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة ، ولو ان باكيا بكى في أمة من الامم لرحموا ، وما من شيء الا له مقدار وميزان الا الدمعة ، فانه يطفأ بها بحار من النار .

وأخرج الترمذي وحسنه من حديث أنس رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة . قال : « أنا فاعل انشاء الله »؛ قلت : فأين أطلبك قال : « تطلبني على الصراط » ، قلت فان لم ألقك على الصراط ؟ قال : « فاطلبني عند الميزان » ، قلت : فان لم ألقك عند الميزان ؟ قال « فاطلبني عند الحوض ، فاني لا أخطيء هذه الثلاثة مواطن » .

تنبيـه : ـ قد اختلف في الموزون .

قيل يوزن العبد مع عمله .

وقيل توزن نفس الاعمال .

والحق ان ا وزون صحف الاعمال ، وصححه ابن عبد البر والقرطبي ، وصوبه الشيخ مرعي وذهب اليه جمهور المفسرين . ويؤيد ذلك حديث البطاقة والسجلات ؛ رواه الترمذي ،وحسنه ابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم ، والبيهقي . وقال الحاكم على شرط مسلم ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال . « ان الله يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر له تسعة وتسعون سجلا ، كل سجل مد البصر » ثم يقول : « أنكر من هذا شيئا،

أم ظلمك كتبتي الحافظون » فيقول لا يا رب ، فيقول: « أفلك عذر أو حسنة ، فيقول لا يا رب فيقول الله : بلى فلك عندنا حسنة ، فانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله الا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . فيقول احضر وزنك ، فيقول يا رب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ قال : فيقول فانك لا تظلم . وتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، ولا يثقل مع اسم الله شيء .

فان قيل : ما الحكمة في الوزن ! مع ان الله تعالى عالم بكل شيء ، (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) .

أجاب الثعلبي : ان الحكمة في ذلك تعريف الله عباده بما لهم عنده من الجزاء ، من خير وشر .

وقال العلامة الشيخ مرعي بن يوسف رحمه الله تعالى . بل الحكمة فيه اظهار العدل ، وبيان الفضل حيث انه يزن مثاقيل الذر من خير أو شر .

(وان تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما ) .

وقال العلامة ابن قاضي عجلون الشافعي تلميذ ابن حجر في شرحه على عقيدة الشيباني الشافعي ما نصه :

والمقصود من ذلك تعريف العباد مقادير أعمالهم إذ لو دخلوا الدارين قبل الموازنة ، ربما ظن المطيع ان نيله الدرجات في الجنة عن الاستحقاق ، وتوهم المعذب ان عذابه فوق ذنبه ، فتوزن اعمالهم ليقفوا على مقادير أجرها ، فيعلم الصالح ان ما ناله من

الدرجات بفضل الله لا بمجرد عمله ؛ ويتيقن المجرم ان ما ناله من العذاب دون ما ارتكب من الجرائم، فان الله لا يظلمه انتهى كلامه.

قلت : وهو أحسن ما قيل في حكمة الوزن ويقرب منه قول مرعي في البهجة .

ولما فرغ الناظم من الكلام على الميزان ، وانه اعتقده السلف أخذ يتكلم على الحوض المورود الآتي ذكره في الكتاب والسنة . فقال : ( والحوض ) اي وأقر بحوض النبي ﷺ ( الذي ) غدا ( أرجو أني منه ) اي الحوض ( ريا انهل ) ، فنقول وبالله التوفيق

اعلم ان حوض نبينا محمد ﷺ ثابت باجماع اهل الحق . وقد جاءت به الآيات . قال الله تعالى ( إنا أعطيناك الكوثر) الخ.

قال العلامة الحافظ السيوطي الشافعي رحمه الله تعالى ، ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيا منهم الخلفاء الأربعة الراشدون وغيرهم .

وقال أيضا : وقد ورد التصريح عند الحاكم وغيره بان الحوض بعد الصراط انتهى .

قال بعضهم : فان قيل اذا خلصوا من الموقف دخلوا الجنة فلم يحتاجون الى الشرب منه .

فالجواب : بل يحتاجون الى ذلك لأنهم محبوسون لأجل المظالم.

ويحتمل ان يقع الشرب قبل الصراط وبعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب والأوزار حتي اذا هذبوا ونقوا ؛ أذن لهم في دخول الجنة .

قال الشيخ مرعي : وهذا في غاية التحقيق ، جامع للقولين ، في غاية التدقيق ، انتهى .

واما الاحاديث الواردة في الحوض فكثيرة جدا بروايات متنوعة اخرج الشيخان وغيرهما من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ حوضي مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ ابدا .

واخرج الامام احمد بسند صحيح عن ابي امامة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : « ان الله وعدني ان يدخل من امتي الجنة سبعين الفا بغير حساب» فقال يزيد بن الأخنس والله ما اولئك في امتك الا كالذباب الاصهب في الذباب، فقال رسول الله ﷺ « قد وعدني سبعين الفا مع كل الف سبعين الف ، وزادني ثلاث حثيات » قال : فما سعة حوضك يا رسول الله ، قال كما بين عدن وعمان واوسع واوسع يشير بيده ؛ قال فيه مثعبان من الجنة ، بضم الميم من ذهب وفضة ، قال . فما حوضك يا رسول الله قال « اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل ، واطيب من رائحة المسك ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا ولم يسود وجهه ابدا ، والاحاديث في ذلك كثيرة جدا .

قلت : ومن اراد المزيد من ذلك فعليه بشرح العلامة السفاريني في شرحه على عقيدته ، وشرحه ايضا على عقيدة ابن ابي داود التي اولها (تمسك بحبل الله واتبع الهدى ، ولا تك بدعيا لعلك تفلح ) . انتهى .

ولما أنهى الكلام على الحوض . وذكر ما يجب اعتقاده فيه أعقبه بذكر الصراط . وأنه مما يجب اعتقاده عند اهل السنة والجماعة . فقال ( وكذا ) أي وكا قراري بالميزان أقر ( بالصراط ) أنه حق ثابت للاحاديث الواردة فيه . ( يمد ) بالبناء للمجهول ، أي ينصب ( فوق ) ظهر جهنم ) أعاذنا الله تعالى منها برحمته . فنقول وبالله التوفيق :

اعلم وفقك الله أن الصراط حق ثابت في الكتاب والسنة واتفاق الأمة، وهو في اللغة الطريق الواضح .وفي الشرع جسر ممدود على جهنم فيرده الاولون والاخرون فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار .

أخرج البخاري والاسماعيلي واللفظ له عن أبي سعيدالخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ في هذه الآية ( ونزعنا مافي صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين ) قال يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فو الذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا :

قال قتادة كان يقال مايشبه بهم الا اهل الجمعة انصرفوا من جمعتهم .
قال القرطبي هذا في حق من لم يدخل النار من عصاة الموحدين : أما من دخلها ثم أخرج فانهم لا يحبسون . بل إذا أخرجوا بثوا على انهار الجنة.

قال الحافظ ابن حجر على قوله يخلص المؤمنون من النار أى ينجون من السقوط فيها بمجاوزة الصراط عنها .

قال العلماء . الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف (وأظلم من الليل) . (١)

وقد أخرج الطبراني باسناد حسن عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف مدحضة أي مزلقة لا يثبت عليه القدم بل تزل عنه الا من ثبته الله تعالى عليه كلاليب من نار تخطف اهلها فتمسك بهواديها . ويستبقون عليه بأعمالهم فمنهم من شده كالبرق فذاك الذي لا ينشب ان ينجو ومنهم من شده كالريح وكالفرس الجواد وكهرولة الرجل ، الحديث .

وأخرج الامام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ لجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله . والناس عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب . والملائكة يقولون سلم سلم فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكردس في النار على وجهه ،

وأخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول الصراط كحد السيف وان الملائكة ينجون

---

(١) الذى في شرح السفارينية : بدل قوله ( وأظلم من الليل ، وأحمى من الجمرة )

المرمنين والمؤمنات وان جبريل لآخذ بحجزتي وأني لأقـــول رب سلم سلم ، فالزالون والزالات يومئذ كثير .

وفي بعض الاثار : إن طول الصراط مسيرة ثلاثة آلاف سنة ألف منها صعود وألف منها هبوط وألف منها استواء .

وقد أخرج الأمام عبد الله بن المبارك وابن أبي الدنيا عن سعيد بن ابي هلال . قال بلغنا أن الصراط يوم القيامة يكون على بعض الناس أدق من الشعر وعلى بعض مثل الوادي الواسع .

وأما معنى قول الناظم في قوله فمسلم بتشديد الـلام المفتوحة . أي فالناس في الجواز على الصراط نوعان :

( الأول ما أشار اليه المصنف بقــوله ( فمسلم ) يعني ( ناج ) برحمة ارحم الراحمين من مزلة الصراط ، والنوع الأخر (مهمل) أي مكردس في النار .

والأصل في هذا البيت حديث أخرجــه الامام احمــد من حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ لجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك تأخــذ من شاء الله ، والناس فيه كالطرف وكالبرق وكالريح وكاجاويد الخيل والركاب والملائكة يقولون : سلم سلم فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكردس في النار على وجهه ، والاحاديث في ذلك كثيرة معلومة .

---

# فصـــل

في الكلام على الجنة والنار وانهما مخلوقتان للبقاء لا للفنـــاء

فنقول وبالله التوفيق:

لما أنهى المصنف الكلام على الميزان والحوض والصراط ، أخذ يتكلم على الجنة والنار .

واليه الاشارة بقوله :

---

والنار يصلاها الشقي بحكمة     وكذا التقي الى الجنان سيدخل

---

والنار نعوذ بالله منها وهي دار البوار ومقر الكفار .

فالنار تشتمل على سبع طبقات جهنم ، فلظى، ثم الحطمة ثم السعير، ثم الجحيم، ثم الهاوية، ثم سقر . وباب كل واحدة من داخل الاخرى . كما قاله ابن عطية وغيره .

( يصلاها ) أي النار ( الشقى ) وهو الذي كتبت عليـه الشقاوة وهو في بطن أمه . ( بحكمـة ) احكم الحـاكمين . فيدخلها بعمله السيء .

ثم قال : ( وكذا التقي ) أي الذي جمع معاني التقوى .

وحقيقة التقوى اتبـاع الاوامر واجتناب المناهي . وهي طاعة الله ورسوله بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه .

ومن جمع معاني التقوى فهو بـلا شك صائر الى الجنة ، واليه الاشارة بقوله ( الى الجنان ) المعدة للمتقين ( سيدخل )

اي الجنة برحمة أرحم الراحمين فكل واحدة من الجنة والنار حق ثابت بالكتاب والسنة واجماع الأمة . وكل ما هو كذلك فالايمان به واجب . واعتقاده حق لازم . والمراد من الجنة دار الثواب ومن النار دار العقاب .

قال ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة مانصه :

فانه اتفق اهل السنة والجماعة على ان الجنة والنار مخلوقتان .

وقد تواترت الاحاديث عن النبي ﷺ بذلك . كما في الصحيحين عن عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من اهل النار يقال هذا مقعدك من النار حتى يبعثك الله يوم القيامة :

وفي السنن عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل الى الجنة فقال اذهب اليها والى ما أعددت لاهلها فيها . قال فذهب فنظر اليها والى ما أعد الله لاهلها : الحديث .

وفي الصحيحين في حديث الإسراء . ثم ادخلت الجنة . فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك .

وفي صحيح البخاري عن أنس قال بينا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف ، قال قلب ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك . الحديث .

وفي صحيح مسلم في حديث صلاة الكسوف أن النبي ﷺ

جعل يتقدم ويتأخر في الصلاة ثم أقبل على أصحابه فقال انه عرضت علي الجنة والنار فقربت مني حتى لو تناولت منها قطفا فأخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا .

وفي الصحيح من حديث ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ لما اصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير ترد أنهار الجنه . وتأكل من ثمارها . وتأوي الى قناديل من ذهب معلقه في ظل العرش الحديث اهـ .

فكل مؤمن بالله ورسوله ولو مبتد عالم يحكم الشرع بكفره وهو حينئذ عاص لربه متعد لحدوده . ولو كان دنبه بارتكاب أكبر الكبائر . ومات على الايمان وهو غير تائب ولم يحكم عليه بكفر لم يكفر ولم يخلد في النار . خلافا للمعتزلة والخوارج . وقد انعقد الاجماع على أنه لا يخلد في النار الا الكافر ، بخلاف العاصي ، وأن مرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب منها في مشيئة الله تعالى، ان شاء عفا عنه ولم يعذبه، وان شاء عذبه ثم يخرجه .

واما خلود المؤمن المصر فهو مذهب الخوارج والمعتزلة كما تقدم وهو مذهب باطل مخالف لدلائل الكتاب والسنة . واهل الحق على خلافه .

تنبيـــه : اعلم أن للجنة عدة اسماء باعتبار صفاتها ، ومسماها واحـــد باعتبار الذات فهي مترادفة من هذا الوجه .

وهكذا أسماء الرب واسماء كتابه . وأسماء رسوله . وأسماء اليوم الآخر . واسماء النار ، أعاذنا الله منها.

فالاسم العام . الجنـــة المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذات والبهجة والسرور . وقرة العين واشتقاقها من الستر والتغطية . ومنه الجنين لاستتاره في بطن أمه . وكذا الجن لاستتارهم في الأرض .

والجنة بالضم ما يستجن به ، ومنه الحديث : الصوم جنة . وفي رواية : جنة أحدكم من النار : الحديث .

وقد ذكر الله تعــالى : في كتابه عــدة آيات يخص الجنــة بأهل الايمان . والتقوى كقوله تعالى في الجنة ( اعدت للمتقين ) وقال تعالى : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ) : وهذا في القرآن كثير .

ومداره على ثلاث قواعد: ايمان؛ وتقوى، وعمل خالص لله تعالى ، على موافقة السنة .

فأهل هذه الثلاثة هم الابرار . وهم أهل البشرى دون من عداهم ، وهي تجتمع في اصلين اخلاص في طــاعة الله تعــالي . واحسان الى خلقه .

وترجع الى خصلة واحدة وهي موافقة الرب في محابه . ولا طريق الى ذلك الا بتحقيق القدوة ظاهرا وباطنا برسوله محمد ﷺ .

وأما الاعمــال التي هي تفــاصيل هــذا الاصل ، فهي بضعة وسبعون شعبة أعلاها : قول لا اله الا الله . وادناها اماطة الاذى عن الطريق ، وبين هانين الشعبتين اللتين مرجعها الى :

تصديق الرسول في كل ما أخبر به .

وطاعته في جميع ما أمر به ايجابا واستحبابا .
واجتناب ما نهى عنه تحريما وكراهة .
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره . أخرجه البخاري ومسلم

وفي رواية لمسلم حفت بدل حجبت :
وقد ثبت أن مفتاح الجنة كلمة الاخلاص . وهي شهادة أن لا اله الا الله وان محمداً عبده رسوله

وقد أخرج الامام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعا . مفتاح الجنة شهادة أن لا اله الا الله .
قال الحافظ ابن رجب في كتابه التوحيد في سنده انقطاع .
وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين يعني في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرأوا ان شئتم . ( فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) . رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

وفي صحيح البخاري عن وهب بن منبه أنه قيل له أليس مفتاح الجنة لا اله الا الله قال بلى ، ولكن ليس مفتاح الا وله اسنان ، فان أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك ولا لم يفتح لك .
, أما النار المعدة للكافرين . أعاذنا الله تعالى منها فهي مأوى الكفار جميعهم سواء كان كفرهم بالشرك أو الجحود ؛ أو

انكار النبوة، أو انكار احدمن الانبياءأو استحلال ماعلم تحريمه أو تحريم ما علم حله من الدين بالضرورة أو انكار المعاد الجسماني، أو جحود ماعلم مجيء النبي ﷺ به بالضرورة . أو جحود الكتب المنزلة أو، شيئا منها، أو ملكا من الملائكة او انتقاص ملك ملك أو نبي أو نحو ذلك .

فالجنة لا يدخلها الا نفس مؤمنة باجماع أهل الحق :

وأما اهل الكفر والجحود فهم في نار جهنم خالدون . لا يفتر عنهم العذاب ولا ينقطع فعذابهم متواصل في دار الهوان جزاءاً بما كانوا يكفرون . قال تعالى ( ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والآيات والآحاديث في مثل هذا كثيرة جدا .

وفي الصحيحين . من حديث ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أمر بلال ينادي في الناس انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة .

وفي لفظ مؤمنة :

وفي كتاب صفة الجنة لأبي نعيم من حديث أبان عن أنس رضي الله عنه قال جاء أعرابي الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله ما ثمن الجنة قال لا إله الا الله .

قال الامام المحقق ابن القيم وشواهد هذا كثيرة جدا .

وفي الصحيحين من حديث ابى هريرة رضي الله عنه أن اعرابيا جاء الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله دلني على عمل

ذا عملته دخلت الجنـــة قال تعبد الله لا تشرك به شيئا . وتقيم الصلاة المكتوبه وتوتى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان ، قال والذي نفسي بيده لاأزيدعلى هذا شيئا ولاأنقص منه،فلما ولى قال النبي ﷺ من سره أن ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا.

وفي صحيح مسلم عن عثمان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله . دخل الجنة .

وفي مسند الامام احمد وسنن ابي داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة .

وفي الصحيحين عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أتاني آت من ربي فأخبرني؛ أو قال بشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة : قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق .

وفي الصحيحين عن عتبان ابن مالك الانصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله .

وفي هذا أحاديث تزيد على حـــد التواتر تدل على وجود الجنة والنار فهما موجودتان الآن .

قال العلامة ابن القيم في حادي الارواح . لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم واهل السنة والحديث قاطبـــة ، وفقهاء الاسلام واهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك واثباته

مستندين في ذلك الى نصوص الكتاب والسنة . وبمـا علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم الى آخرهم فانهم دعو الامم اليها وأخبروا بها . الى أن نبغت نابغة من القــدريه والمعتزلة فأنكروا ان تكون الجنة والنار الآن مخلوقة . وقالوا بد الله ينشئها يوم القيامة الى آخر كلامه فيهم .

قال ولهذا صار السلف الصالح ومن نحا نحوهم يذكرون في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان يعني الآن .

ويذكر من صنف في المقالات .أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها ، منهم الامام ابو الحسن الاشعري رضي الله عنه في كتابه مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين .

وفيه ان الجنة والنار مخلوقتان .ولقد ر ى النبي ﷺ سدرة المنتهى ورءى عندها الجنة ،كما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه ، فذكر عدة أحاديث .

وفي الترمذي في جامعه من حديث أبي الزبير عن النبي ﷺ انه قال : من قال سبحان الله وبحمده ، غرست له نخلة في الجنة . قال هذا حديث حسن صحيح .

قالوا فلو لم تكن الجنة مخلوقة مفروغا منها ، لم تكن قيعانا ، ولم يكن لهذا الغرس معنى ، وأصرح من هذا ، قول النبي ﷺ « من بنى لله مسجدا ، بنى الله له بيتا في الجنة » متفق عليه .

وحـديث اذا قبض الله روح ولد العبـد ؛ قـال الملائكـة : ماذا قال عبدي ؟ قالوا حمدك واسترجع . قـال : ابنوا له بيتـاً في الجنة ، وسموه بيت الحمد .

ثم قال : وفي مسند الامام احمد ، وصحيح مسلم ، والسنن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: لما خلق الله الجنة ، أرسل جبريل الى الجنة ، قال : اذهب فانظر اليها ، والى ما اعددت لأهلها فيها ، قال : فنظر اليها ثم رجع . فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد الا دخلها ،فأمر بالجنة فحفت بالمكاره. فقال : ارجع فانظر اليها ، والى ما اعددت لأهلها فيها ، فقال : وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها احـد ؛ ثم ارسله الى النار ، فنظر اليها ، يركب بعضها بعضا ، فقال : وعزتك لا يدخلها أحد ، فلما حفت بالشهوات ، قال وعزتك لقد خشيت ان لا ينجو منها احد الا دخلها . قال الترمذي حديث حسن صحيح .

ودخوله ﷺ الجنة ورؤيته نهر الكوثر ؛ وقصور الجنة وحورها ، وأضعاف أضعاف ما ذكرنا من الأدلة القطعية على تلك المسألة . انتهى

وقال ابن القيم في كتابه حادي الارواح :

واما ابدية الجنة والنار ، وانهما لا تفني ولا تبيد فمما يعلم بالاضطرار أن رسول الله ﷺ أخبر به . قال الله تعالى وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض) الاية (١)

ومما يدل على وجود النار الان ، قوله تعالى ( النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ) الآية .

---

(١) نقله المؤلف من شرح السفارينية واقتصر على هذا ، وهو بحث مطول تضمن تفسير الاية وغيره . فليرجع اليه من شاء .

كما في الصحيحين عن عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ انه قال « ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، ان كان من اهل الجنة ، فمن اهل الجنة ، وان كان من اهل النار ، يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة .

قلت : وفيه دلالة واضحة قاطعة على وجود الجنة والنار ، ويؤيده قوله تعالى ( النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ) اه

---

## تتمة

## في ذكر مكان الجنة والنار واين هما على مقتضى الآثار

اعلم ان الجنة فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن ، كما قال جل شأنه في محكم القرآن ( ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ) .

وقد ثبت ان سدرة المنتهى فوق السماء السابعة ، قال تعالى : (وفي السماء رزقكم وما توعدون ) قال ابن ابي نجيح عن مجاهد هو الجنة .

وروى ابو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما . انه قال : الجنة في السماء السابعة .

وفي الصحيحين انه ﷺ قال : الجنة مائة درجة، ما بين كل

درجتين كما بين السماء والارض ، وهذا يدل على ان الجنة في غاية العلو والارتفاع .

وقال ابن القيم ايضا : في كتابه ( صفة الجنة ) المسمى بـ (حادي الأرواح )، ما نصه :

والجنة مقببة اعلاها اوسعها ، ووسطها هو الفردوس ، وسقفه العرش ، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح ، اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فانه اوسط الجنة ، واعلا الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر انهار الجنة .

وفي الحديث يقال لقاريء القرآن ، اقرأ ، وارق ، ورتل ، كما كنت ترتل: الحديث

وفي آخره ، فان منزلتك عند آخر آية تقرأها

قال العلامة السفاريني ما نصه :

وهذا يحتمل شيئين : إما ان تكون منزلته عند آخر حفظه .

وإما ان تكون عند آخر تلاوته المحفوظة . **انتهى**

واخرج جويبر في تفسيره ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، قال : سئل رسول الله ﷺ من اين يجاء بجهنم يوم القيامة ؟ قال : يجاء بها من الارض السابعة ، لها سبعون الف زمام ، مع كل زمام سبعون الف ملك ، تصيح إلي اهلي ، فاذا كانت من العباد على مسيرة مائة سنة زفرت ، فلا يبقى ملك مقرب ، ولا نبي مرسل الا جثي على ركبتيه ، يقول : رب نفسي نفسي ، والله المستعان ولا حول ولا قوة الا به .

# فصــــل

في الكلام على القبر وعذابه ونعيمه وسؤال الملكين الذين يسألان العبد عن ربه ودينه ونبيه ﷺ ، فنقول . وبالله التوفيق.

لما أنهى الناظم الكلام على الجنة والنار ، وانهما مخلوقتان . أخذ يتكلم على القبر ، وعذابه ، وإليه الاشارة بقوله :

---

ولكل حي عاقل في قبره عمل يقارنه هنـاك ويسأل

---

( و لكل حي عاقل ) اي مكلف في قبره ، اي ضريحه الدي يدفن فيه ، وسيبعث منه للدلائل القطعية ، قوله : (عمل) بالتنوين مبتدأ .ؤخر ، اي عمل صالح او ضده ( يقارنه ) اى يجده عنده من خير أو شر ، ( هناك ) اي في قبره ، وأتى بالكاف المفيدة للبعيد . فكأن الناظم يشير الى حديث رواه القرطبي في التذكرة ، وهو حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ، الطويل المشهور فيه ويمثل له عمله في صورة رجل حسن الوجه ، طيب الريح ، حسن الثياب ، فيقول : أبشر بما أعدالله لك ، وبالعكس بالذي يسوءك وفيه فيأتيه ملكان ، واليه الاشارة بقوله : ( ويسأل )

اعلم وفقك الله تعالى ، ان الايمـان بذلك واجب شرعـاً لثبوته عن النبي ﷺ في عدة أحاديث ، يبلغ مجموعها حـد التواتر . وقد استنبط ذلك واستدل عليه بقواه تعالى ( يثبت الله

الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ) الآية .

واستدل أهل السنة والجماعة ، على هذه المسألة ؛بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة .

منها ما أخرجه الشيخان ، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ؛ لما نزلت قوله تعالى ( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ) الاية . قال : نزلت في عذاب القبر .

زاد مسلم : فيقال له ، من ربك ؟ فيقول : يعني المؤمن ، الله ربي ، ونبي محمد فذاك قوله ( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ) .

وفي رواية للبخاري إذا أقعد المؤمن في قبره، أي ثم شهد أن (لا اله الاالله. وأن محمد رسول الله). فذلك قوله(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) .

وفي الطبراني عن البراء بن عازب مرفوعا . فيقال للكافر من ربك فيقول لا أدري فهو تلك الساعة أصم أعمى أبكم فيضرب بمرزبة لو ضرب بها جبل لصار ترابا : الحديث :

وعن ابي داود يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول يعنى المؤمن ربي الله ، فيقولان له ما دينك فيقول ( دبني الاسلام ) فيقولان له وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله تعالى فآمنت به وصدقت ، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشو لهمن الجنة وافتحوا اه بابا الى الجنة والبسوه من الجنة

ويفسح له في قبره مد بصره . وقال في الكـــافر ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاهاه لا أدرى : الحديث إلى ان قال . فينادى مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوا له من النار وافتحوا له بابا الى النار . فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه .

وروي ايضا من حديث ابي سعيد أخرجه الامام أحمد .

ومن حديث امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . أخرجه أبو بكر الخلال في كتاب السنه : وفيه أنه ﷺ قال له كيف أنت ياعمر اذ كنت من الارض في أربعة اذرع في ذراعين ورأيت منكراً ونكيرا ، قلت يارسول الله ومـا منكر ونكير ، قال : فتانا القبر يبحثان الارض بأنيابهما ويطأن بأشعـارهما أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، ومعهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى لم يطيقوا رفعها هي أيسر عليهما من عصاي هذه . قلت يارسول الله . وأنا على حالي هـذه قال نعم ، قال اذا اكفيكهما .

وفي رواية فامتحناك فان التويت ضربا ك ضربة صرت بها رمادا .

وفي حديث رواه أحمد أن الملكين اسمهما منكر ونكير بفتح الكاف .

---

## تتمة

الأيمان بعذاب القبر وفتنته واجب والتصديق به لازم حسبما أخبر به النبي ﷺ ولدلائل الكتاب والسنة .

قال : ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى ( فان له معيشة ضنكا ) قال : المعيشة الضنك هي عذاب القبر .

وقال الحافظ بن رجب رحمه الله . وقد تواترت الآحاديث في عذاب القبر .

في الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت سألت رسول الله ﷺ عن عذاب القبر قال : نعم عذاب القبر حق .

وأخرج البخاري من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يدعوا اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر :

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يعلمهم هـذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن : اللهم اني اعوذ بك من عذاب جهنم . وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات : وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال .

واخرج مسلم ايضا ، وابن ابي شيبة . وفيه فقال رسول

الله ﷺ تعوذو ابالله من عـذاب القبر فان هـذه الامة تبتلى في قبورها : الحديث .

وفي احديث الكسوف : فبي تفتنون وعني تسألون أو كما قال عليه السلام

وفي الحديث الصحيح إذا مات العبد عرض عليه مقعده من الجنة أو النار، والآحاديث في ذلك كثيرة جداً .

قال الحافظ الحجة عبد الرحمن ابن ابى بكرالسيوطي الشافعى رحمه الله تعالى في نظمه المسمات بالتبصرة ما نصه :

أحاديث القبر ، وعذابه ، وسؤال الملكين بلغت نحـوا من تسعين حـديثاً .

وقـد تقدم قول الامام السيوطي أن احاديثه بلغت حد التوتر .

قلت فلعله ماذكره في التبصرة انتهى .

وقد ورد آحاديث تنجي من عذاب القبر صحاح وحسان .

منها ما جاء في الحـديث ان سورة من القرآن ثلاثون آية تنجي قارئها يوم القيامه :

وفي رواية تنجيه من عذاب القبر .

وفي حديث آخر شفعت لرجل حتى غفر له . ( تبارك الذي بيـده الملك ) .

وفي الحـديث من قرأ كل ليلة ( تبارك الذي بيده الملك ) الا انجاه الله من عذاب القبر ، وتسمى يعني تبـارك المنجية والمانعة ، تنجي وتمنع صاحبها من عذاب القبر كما في الحديث وفيها أحاديث كثيرة . فليعلم ذلك كله . والله أعلم .

## تنبيه :

اعلم وفقك الله تعالى أن الناظم رحمه الله تعالى قد اهمل الشفاعة وهي من أهم العقائد الدينية والاصول الايمانية . وهي ثلاثة فصول : فنقول وبالله التوفيق .

اعلم وفقك الله تعالى ، ان الشفاعة (لغة) هي الوسيلة؛ والطلب، وعرفا سؤال الخير للغير ، كذا عرفها بعضهم .

واعلم أيضاً ، ان للنبي ﷺ ثلاث شفاعات :

الاولى : الشفاعة العظمى التي يشفع فيها لاهل الموقف حتى يقضى بينهم . بعد ان يتدافعها الأنبياء أهل الشرائع ؛ آدم ، ونوح وابراهيم ، وموسى . وعيسى ، على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، وهي المقام المحمود . وقد ورد من حديث الصديق رضي الله عنه ، وأنس ، وأبي هريرة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وحذيفة ، وعقبة بن عامر ، وأبي سعيد الخدري؛ وسلمان الفارسي ، رضي الله عنهم أجمعين . فهؤلاء ورد أمر الشفاعة في أحاديثهم مطولا .

وورد أيضاً مختصراً من حديث أبي بن كعب ، وعبادة بن الصامت ، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن سلام ، وغيرهم رضي الله عنهم .

اخرج الامام احمد ؛ والبخاري ، ومسلم ؛ وغيرهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، ان النبي ﷺ قال : يجتمع

المؤمنون يوم القيامة ؛ فيلهمون لذلك ، فيقولون : لو استشفعنا الى ربنا ، فيريحنا من مقامنا هذا ، فيأتون آدم ، فيقولون : يا آدم انت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته، وعلمك اسماء كل شيء ، فاشفع لنا الى ربك ، حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول لهم آدم : لست هناكم ، فيذكر ذنبه الذي أصاب، فيستحي ربه من ذلك ولكن ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله الى أهل الارض ، فيأتون نوحا ، فيقول : لست هناكم ، ويذكر خطيئته، وسؤاله ربه ما ليس له به علم ، فيستحي ربه من ذلك . ولكن ائتوا ابراهيم خليل الرحمن ، فيأتونه ، فيقول : لست هناكم . ولكن ائتوا موسى عبداً كلمه الله ، وأعطاه التوراة ، فيأتون موسى فيقول : لست هناكم ، ويذكر النفس التي قتل بغير حق ، فيستحي ربه . ولكن ائتوا عيسى ، عبد الله ورسوله ، وكلمته وروحه ، فيأتون عيسى فيقول : لست هناكم ولكن ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . فيأتوني فأقوم وأمشي بين سماطين من المؤمنين ، فاستأذن على ربي ، فاذا رأيت ربي وقعت ساجداً ، فيدعني ما شاء أن يدعني . ثم يقال : ارفع محمد قل ليسمع واشفع تشفع ، واسأل تعطى، فأرفع رأسي وأحمده بتحميد ثم اشفع ، الحديث بطوله .

وأخرج الترمذي ، والبيهقي ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا، وخطيبهم اذا أنصتوا ، وقائدهم اذا وفدوا ، وشافعهم اذا حبسوا، ومبشرهم

إذا أيسوا ، لواء الكرم بيدي ، ومفاتيح الجنة يومئذ بيــدي ، وأنا اكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر ، يطوف علي ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون .

وعند البخاري ، ومسلم ، وغـيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ان النبي ﷺ قال « أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذاك ! يجمع الله الأولين والآخرين ، في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، وتدنوا منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون .

فيقول الناس ألا ترون الى ما أنتم فيه . الى ما قد بلغكم . ألا ترون الى من يشفع لكم الى ربكم ، فيقول النـــاس بعضهم لبعض أبوكم آدام . فيأتونه فيقـولون يا أدام أنت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه . وأمر الملائكة فسجدوا لك واسكنك الجنة . ألا تشفع لنا الى ربك ألا ترى الى ما نحن فيه وما قد بلغنا . فيقول إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله . وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبـو الى غيري . اذهبو الى نوح . فيحيلهم الى ابراهيم ، وابراهيم على موسى ، وموسى على عيسى ، وعيسى يقول اذهبو الى غيري اذهبـــو الى محمد فيأتوني . فيقولون يامحمد انت رسول الله وخاتم الانبياء وقـــد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه . فأنطلق فآتي تحت العرش ، فأقع ساجدا لربي ، ثم يفتح الله علي من محامده

وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد بعدي . ثم يقال يامحمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فارفـع رأسي فأقول أمتي يارب . فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنـة . وهم شركاء النـاس فيما سوى ذلك ثم قـال : والذي نفسي بيـده . إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر . أو كما بين مكه وبصرى .

# فصل

الشفـاعة العـامة التي خص بهـا نبينا محمد ﷺ من بين سائر الانبياء عليهم السلام هي المرادة بقوله ﷺ لكل نبي دعوة مستجابة . فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي . وهذه الشفاعة لأهل الموقف انما هي لأجـل حسابهم . ويراحـوا من الموقف . قاله الامـام القرطبي في تذكرته . والله اعلم .

## فصل

شفاعه النبي ﷺ نوع من السمعيات . قد ورت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي وانعقد عليها اجماع اهل الحق قبل ظهور الخوارج الذي ينكرون الشفاعة ، لكن هذه الشفاعة العظمى مجمع عليها لم ينكرها أحد ممن يقول بالحشر اذ هي الأراحة من طول الوقوف :

وأما شفاعة الرسل والانبياء والعلماء والشهداء الصالحون فانهم يشفعون يوم القيامة .

وورد أن القرآن يأتي يوم القيامة شفيعاً لاصحابه :

وورد أيضا أن سورة شفعت لرجل وتقدم :

والحاصل أنه يجب ان يعتقد أن غير النبى ﷺ من سائر الرسل والانبياء والملائكة والصحابة والشهداء والصديقين والأولياء والعلماء على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم ووجاهتهم يشفعون لثبوت الأخبار بذلك فيجب تصديقه ، والقول بموجبه لثبوت الدليل .

فقد قال ﷺ أنا أول شافع وأول مشفع من حديث ابي هريرة . أخرجه مسلم .

وأما حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، عند البيهقي . قال : يشفع نبيكم رابع اربعة . جبريل ، ثم ابراهيم ، ثم موسى أو عيسى ،

ثم نبيكم لا يشفع أحد أكثر مما يشفع فيه نبيكم ، ثم الملائكة ، ثم النبيون ، ثم الصديقون ، ثم الشهداء .

والمشهور أنه ﷺ أول شافع وأول مشفع قاله البخاري وغيره من أئمة الحفاظ :

واخرج الطبراني في الكبير والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ليدخلن الجنة قوم من المسلمين قد عذبوا فى النار برحمة الله وشفاعة الشافعين .

وأخرج الطبراني في الاوسط عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يشفع الله آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة الف الف وعشرة ألاف ألف .

واخرجه ابن ابي عاصم والاصبهانى عن ابي امامة رضي الله عنه قال قال رسول ﷺ يجاء بالعالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم قف حتى تشفع للناس :

واخرج الديلمي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا . يقال للعالم اشفع في تلامذتك ولو بلغ عددهم نجوم السماء

وأخرج الترمذي والحاكم وصححه والبيهقي عن عبدالله ابن ابي الجدعاء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم . قالو : سواك يارسول الله قال : سواي

قال القرطبي : يقال انه عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وأخرج البيهقي عن الحسن مرفوعا . ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي اكثر من ربيعة ومضر :

قلت : ويقال أنه أويس القرني كما جاء في بعض الروايات انتهى .

وأخرج الترمذي وحسنه والبيهقي عن ابي سعيد الخـدري رضي الله عنـه قال قال رسول الله ﷺ ان من أمتي لرجالا يشفع الرجل منهم في الفئام من الناس فيدخلون الجنـة بشفاعته ويشفع الرجل منهم للقبيلة فيدخلون الجنة بشفاعته . ويشفع الرجل منهم للرجل واهل بيته فيدخلون الجنة بشفاعته .

وأخرج الطبراني عن ابي سعيد رضي الله عنه قال : لاتزال الشفاعة بالناس وهم يخرجون من النار ، حتى ان ابليس يتطاول لها رجاء أن تصيبه .

والحـاصل أن شفاعة الناس بقدر اعمالهم وعلو مراتبهم وقربهم من الله تعالى . والقرآن يشفع لأهله ، والأسلام كذلك ، والحجر الاسود يشفع لمستلمه .

ولكن (لايشفعون الا لمن ارتضى وهـم من خشيتـه مشفقون ) . ( من ذلذي يشفع عنده الا بأذنه )

واخرج الترمذي وابن ماجة والحاكم وصححه . وابن حبان والبيهقي والطبراني عن عوف ابن مالك الاشعري عن النبي ﷺ قال ان ربي خيرني بين ان يدخل نصف امتى الجنة ، وفي لفظ بين أن يدخل ثلثي أمتي الجنة بغير حساب ولا عذاب ، وبين الشفاعـة لأمتي واخترت الشفاعة ، قال وهي لكل مسلم .

واخرج الامام احمد والبيهقي والطبراني في الاوسط عن بريدة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول اني لاشفع يوم القيامة لاكثر مما على الارض من شجر ومدر .

وأخرج الترمذى والحاكم والبيهقي عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى .

وقال جابر رضي الله عنه من زادت حسناته على سيئاته فذلك الذى يدخل الجنة بغير حساب ، ومن استوت حسناته وسيئاته فذلك الذى يحاسب حساباً يسيرا . ثم يدخل الجنة ، وانما شفاعة رسول الله ﷺ لمن أوبق نفسه وأغلق ظهره .

وأخرج ابن ابي عاصم عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً مازلت أشفع الى ربى ويشفعني . وأشفع ويشفعني حتى أقول أى رب شفعني فيمن قال لا إله الا الله . فيقول هذا ليس لك يا محمد ولا لاحد . هذا لي وعزتي وجلالي ورحمتي لآ أدع في النار أحداً يقول لا إله الا الله .



# فصــــل

في ذكر الاعمال الموجبة لشفاعته ﷺ
وفضل المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة . واتم السلام .
فنقول وبالله التوفيق ،

قد أخرج البخـاري عن ابي هريرة رضي الله عنــه قـال قلت يا رسول الله من اسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قـال ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث احد أول منك لما رأيت حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله الا الله خالصاً من قلبه :

واخرج أيضاً عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائيمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته الا حلت له الشفاعة

وأخرج الترمذي وابن ماجه وابن حبان والبهيقي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها .

واخرج الطبراني عن سلمان رضي الله عنـه عن النبي ﷺ قال من مات في احد الحرمين استوجب شفاعتي، وكان يوم القيامة من الآمنين .

واخرج الطبراني بسند جيد عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من صلى على حين يصبح عشرا ، وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة .

وأخرج الترمذي وابن حبان عن ابن مسعود مرفوعاً أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة .

واخرج البزار عن ابن عمر مرفوعاً . من زار قبري وجبت له شفاعتي : (١)

واخرج البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما من زارني كنت له شهيداً أوشفيعاً، ومن مات في احد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة . والاحاديث في ذلك كثيرة جداً . وبالله التوفيق .

ولما أنهى الكلام على المسائل المتفق عليها عند أئمة السلف صرح في آخر نظمه بأن هذا اعتقادأئمة المذاهب الاربعة . وهم الامام الاعظم . امام السنة ابو حنيفة . ومالك والشافعي واحمد ابن حنبل الذين انعقد الاجماع على تقليدهم من ستمائة سنة الى يومنا هذا .

حكى ذلك غير واحد من أفاضل العلماء منهم تقي الدين ابن تيمية . وابن هبيرة الحنبلي وهو قول جماعة من أكابر العلماء من فقهاء اصحابنا وغيرهم . مستدلين بقوله تعالى ( فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ) وكذا لما سئل الامام الشافعي عن الاجماع هل هو حجه قال نعم ، لقوله تعالى ( ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم ) الاية ، قال ولم يتوعد الله

(١) هذا الحديث متفق على ضعفه ، وبعضهم: وهو الاقوى يصرح بانه موضوع

سبحانه الا على ترك واجب . وعلى ذلك نص كثير من العلماء على ان إجماع هؤلاء الائمة الأربعة حجة واختلافهم رحمة، لان الحق لا يخرج عنهم . لقوله ﷺ ( اختلاف أمتي رحمة ) فيجب تقليدهم في الفروع . لا سيما في زماننا هذا . بل يحرم الاجتهاد . ولتعذر معرفة شروطه :

قلت هذا في المقيد . واما في المطلق فلا . ولا قائل به الآن، ومن ادعاه في هذه الأزمنة كذب لأنه نادر ، والنادر لا حكم له . مــع أنا نقول إن الارض لا تخلوا من قائم لله بالحجــة . للحديث انتهى .

والحاصل أن الواجب على العامي مثلى تقليد أحــد هؤلاء الأئمة الأربعة الذين انعقـد الاجماع على تقليدهم في الفروع والأصول . إذ الحق لا يخرج عنهم ، ولأن معنى الكتاب والسنة مندرج تحت مذاهبهم . فمن ذلك صار اختلافهم رحمة. واجماعهم حجة . فتحرم مخالفتهم ، بل يجب تقليد واحـد منهم ، وهي رواية قوية أخذ بها جمع كثيرون من أصحابنا الحنابلة وغيرهم . فمقلدهم مثاب مأجور . اذ هو الحق على القول المشهور . وقد قلت في ذلك بحثا ضمنته في بيتين . وهما .

قلت والتقليد ليس بمنكر اذ المــؤذن مقلد في الأشهر
ولازال أصاغر الصحابـة تقلد الكبار من ذوي الإصابة

وقد ألف بعض أفاضل متأخري الشافعية وهو العـلامة المحقق الشيـخ الصوفي حسين الدوسري كتابا لطيفا رد فيه على من

ادعى الأجتهاد وهو قاصر عنه. مفيد جدا سماها ( القول السديد في حرمة الأجتهاد ووجوب التقليد، فليراجع .

فلما كان كذلك ، قال الناظم : رحمه الله :

---

هذا اعتقاد الشافعي ومالك وأبو حنيفة ثم احمد ينقل

---

( هــذا ) الذي ذكرته بنظمي ، واعتقدته بقلبي من أمهات مسائل الاعتقاد . ومما أجمع عليها المسلمون الحاظرمنهم والباد ، هو ( اعتقاد ) الامام محمد ابن ادريس ( الشافعي ) واعنقاد الأمام عالم دار الهجرة ( مالك ) ابن أنس . ( وأبو حنيفة ) الامام الاعظم النعمان ( ثم ) صرح بان هذا اعتقاد امام السنة وقامــع البدعة امامنا ( أحمد بن حنبل الشيبــاني ) رحم الله الجميــع ورضي عنهم ونفعنا بعلومهم وأعاد علينا من بركاتهم .

ثم قال الناظم : (ينقل ) بضم الياء . إشارة الى مانقله عنهم أئمة النقل الذين دونوا مذاهب السلف، ولكل من هؤلاء الأئمة الاربعة فضائل لاتحصى . قد دونت في مجلدات . ففي هذه البيت إشارة الى ان ما ذكرناه في هـذه العقيدة أنه ممـا اتفق عليه الائمة الاربعة المذكورون رضي الله عنهم . وممن حكى عنهم مقالات السلف ممن تقدم ذكره فكل ، منهم الحق . ( ١ )

وان كان قــد وقع الخلاف بين الشيخ أبي الحسن الاشعري شيخ اهل السنة من الشافعيه وغيرهم . وبين الامام ابي حنيفة في أخر من أصول مسائل الدين لكنها يسيرة لا تقتضي تكفيرا ولا تبديعا

(١) كذا في الاصل ولعل الصواب فكل منهم معه الحق .

وقـد نظم الشيخ تاج الدين السبكي هـذه المسائـل المختلف فيها في أبيات فآئقة ذكرها في آخر كتابه المسمى بالسيف المشهور في عقيدة الاستاذ ابي منصور تركنا ها هنا ايثارا للأختصار . وقـد جمع بعض الفضلاء وفيات هـؤلاء الائمة الأربعة في بيت مفرد بقوله .

فنعمانهم قان وطعق لمالك وللشافعي درورم لابن حنبل

ثم حث الناظم رحمه الله على اتباع هؤلاء الائمة في الاصول والفروع ، لما تقدم في البيت قبله . فقال :

---

فان اتبعت سبيلهم فموفق وان ابتدعت فما عليك معول

---

( فان اتبعت ) أيها الأثري ( سبيلهم ) القويم ومنهجهم المستقيم . والسبيل هو الطريق الواضح وهي المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها الا هالك . لحديث تركتكم على المحجة البيضاء الخ .

والمعنى فان اتبعت أيها ا عتقد لطريق سبيل هؤلاء الائمة واقتفيت اثرهم فاعتقدت مااعتقدوه وأسست قواعد مذهبك على ما حرروه وقرروه ؛ فأنت بذلك الاتباع على منهاج السنة النبوية متمسكا بالعقيدة السلفية المحمودة المرضية ( موفق ) للاقتداء بالكتاب والسنة واجمع عليه سلف الامة ( وإن ) ابيت الاتبـاع فابتدعت فأولت الاستواء بالاستلاء ، والنزول بنزول امره ورحمته ونحو ذلك ، وجعلت كلام الله عبارة او حكاية عنه . وأولت صفة اليدين بالنعمة ونحو ذلك ، وجعلت كلام الله عبارة أو حكاية عنة . وأولت صفة اليدين بالنعمة ونحو ذلك من صفاته المقدسة . ولم تسلك سبيل الاقرار والأمرار ، وخرقت

بذاك إجماع السلف الصالح الأخيار . ونبذت الكتاب والسنة والآثار ، ورغبت بجهلك عن عقيـدة السلف ، ورضيت بمـا زخرفه لك الخالف . ( فما عليك ) بذلك ( معول ) بما عتقدته لأنك أبيت الاتباع ودنت بالابتداع ، وخرقت الاجماع . ورضيت لنفسك بالمراء والجدال والنزاع . فودي عليك بالمكابرة والابتداع .

**فائدة :** وروى أبو داود باسناده عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « ثلاث من أصل الايمان : الكف عمن قال لا اله الا الله لا نكفره بذنب ولا نخرجه عن الاسلام بعمل ، والجهاد ماض منذ بعثني الله تعالى الى أن يقـاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ، والايمان بالقدر » .

تنبيـه :

قال الامام النووي في شرح مسلم على قوله ﷺ أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله الا الله . ويومنوا بي وبمـا جئت به : فيه بيان ما اختصر في الروايات الاخر من الاقتصار على قول لا إله الا الله .

وفيـه دلالة ظاهرة لمـذاهب المحققين والجماهير من السلف والخلف . أن الانسان إذا اعتقـد دين الاسلام اعتقادا جازما لا تردد فيه كفاه ذلك . وهو مؤمن من الموحدين ، ولا يجب عليه تعلم أدلة المتكلمين ومعرفة الله تعالى بها ، خلافا لمن أوجب ذلك وجعله شرطا في كونه من اهل القبله وزعم أنه لا يكون له حكم المسلمين الا اذا تعلمها :

وهذا المذهب قول كثيرين من المعتزلة . وبعض المتكلمين .
وهو خطأ ظاهر . فان المراد التصديق الجازم وقد حصل . ولان النبي ﷺ اكتفى بالتصديق بما جاء به ولم يشترط المعرفة بالدليل . وقد تظاهرت أحاديث في الصحيح يحصل بمجموعها التواتر باصلها ، والعلم القاطع القطعي .

وقد تقدم ذكر هذه القاعده في اول كتاب الايمان انتهى .

قال الشيخ العلامة مرعي بن يوسف الحنبلي في كتابه المسمي بالبهجة :

المسألة الثالثة : في عدم خلود العصات من الموحدين في النار . وان ماتوا من غير توبة . وذلك مذهب اهل السنة والجماعة لقوله تعالى ( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ) : ونفس الأيمان عمل خير لا يمكن أن يرى جزاؤه قبل دخول النار ثم يدخل النار لأنه باطل بالاجماع . . فتعين الخروج من النار ، قاله السعد التفتازانى .

والاحاديث الصحيحة الاتية المصرحة بعدم خلود أهل التوحيد :

قال السعد : وذهبت المعتزلة إلى أن من دخل النار فهو خالد فيها لانه اما كافر أو صاحب كبيرة مات بلا توبة ، اذا بل المعصوم والتائب وصاحب الصغيرة اذا اجتنب الكبائر ليسوا من اهل النار ، وصاحب الكبيرة بلا توبة مخلد في النار وهو مذهب باطل معارض بالنصوص الدالة على عدم الخلود . قال تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) . وقال تعالى : (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ) : فالجنة انما هي محرمة على المشرك . ومساوات غير المشرك بالمشرك غلط ظاهر .

أخرج الشيخان عن عتبان بن مالك الانصاري أن النبي ﷺ قال ان الله حرم على النار من قال لا إله الا الله يبتغي بذلك وجه الله.

واخرج الشيخان عن أبي ذر قال قال لي النبي ﷺ مامن عبد قال لا إله الا الله ثم مات على ذلك . إلا دخل الجنة . قلت وان زنى وان سرق، قال وان زنى وان سرق، قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق على رغم أنف أبي ذر. قال وأنا أقول وان رغم أنف المعتزلة .

وأخرج أحمد والبزار والطبراني مثله من حديث أبي الدرداء وآخره وان رغم أنف أبي الدرداء .

واخرج مسلم عن عبادة بن الصامت سمعت رسول الله ﷺ من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله حرمه الله على النار .

وأخرج عن معاذ ابن جبل أن النبي ﷺ : قال ما من عبد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله الا حرمه الله على النار، قلت يارسول الله الا أخبر الناس فيستبشروا؟ قال : لا اذا يتكلوا . فأخبر بها معاذ عند موته تأثما .

وأخرج ايضا عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان . ولا يدخل الجنة أحد كان في قلبه مثقال حبة من كبر :

وأخرج ايضا عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة .

وأخرج أيضا عن جابر قال أتى النبي ﷺ رجل فقال يارسول الله ماالموجبات قال من مات لا يشرك بالله دخل الجنة ومن مات يشرك بالله دخل النار .

وأخرج الحاكم عن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول اني أعلم كلمة لا يقولها عبد من قلبه فيموت على ذلك الا حرمه الله على النار . لا إله الا الله .

واخرج الشيخان عن عثمان بن عفان عن النبي ﷺ ، من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة :

قال الحافظ السيوطي والآحاديث في ذلك زائدة على حد التواتر .

وأخرج الترمذي وحسنه الحاكم وصححه عن أنس عن النبي ﷺ قال يقول الله تعالى اخرجوا من النار من ذكرني يوم . او خافني في مقام :

وهذا آخر ما تيسر جمعه . فنسأل الله العظيم ان يعم نفعه أمين .

ونسأل الله العظيم ، باسمه العظيم و بجاه (١) نبيه الكريم ان يسلك بنا صراطه المستقيم وان يغفر لنا ولوالدينا ومشائخنا ولكافة المسلمين انه جواد كريم رؤف رحيم .

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله . وله الحمد على كل حال ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين :

قال مؤلفه سامحه الله تعالى فرغت من جمعه وتعليقه ضحوة الثلاثا نهار ثلاث وعشرين من جماد الاول ١٢٦٣ من الهجرة النبوية على مهاجرها افضل الصلاة والسلام ، وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه

---

(١) هذا وامثاله من التوسل المبتدع : والله يقول ( ولله الاسما الحسنى فادعوه بها ) وقال ( وابتغوا اليه الوسيلة ) اى بالاعمال المأذون بها شرعا ) . اذ العبادات توقيفية :

# فهرست اللآلى البهية

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة



وبهذا انتهى فهرس الكتاب . والله الموفق للصواب ..

هـــذا الكتاب

تم طبعه فى مطـــابع مؤسسة النـور
بتاريخ ١٥ / ١ / ١٣٨٦
الرياض شارع الامام أحمد ابن حنبل